



شريف شوقي

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

هذه السلسلة ..

عندما تتحوَّل حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..

وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..

يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحبّ الذى يروى هذه المشاعر .

فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب .. وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات الجفاف .. فتشيع عبيرها الفوّاح في ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرّك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ - ذكرى باقية ..

استعدت (منى) لمغادرة عملها فى وزارة الزراعة .. عندما استوقفتها رؤيتها لذلك الرجل ذى الشعر الأشيب والمنظار الطبى ، وتلك الملامح المميزة ، التى لم تُمح من ذاكرتها برغم ما أضفته عليها السنون .

ووجدت نفسها تندفع نحوه وهى تهتف قائلة :

- دكتور (فوزى) ؟!

التفت إليها الرجل ، وهو يعدل من وضع المنظار الطبى فوق أنفه ، وفى عينيه نظرة تساؤل .

سألته (منى) قائلة :

- ألا تتذكرنى ؟

تأملها للحظة ، ثم لم يلبث أن انفرجت أساريره ، وقد وضح على وجهه أنه تذكرها .. قائلاً :

- (منى) ؟!

ابتسمت قائلة :

- يا لها من فرصة سعيدة أن أراك هنا :

قال لها الدكتور (فوزى) وقد بدا أنه يبادلها سعادتها لحدوث هذا اللقاء :

ـ أنا أيضًا سعيد للقائى بك .. لقد سألت عنك بعد عودتى من الولايات المتحدة ، لكن أحدًا لم يستطع أن يدلنى على مكانك .. خاصة بعد أن علمت بأنك قد غادرت منزلك القديم .

سألته (منى) قائلة :

ـ متى عدتَ من أمريكا ؟

أجابها قائلاً :

ـ منذ تسعة أشهر تقريبًا .. لكن ماذا تفعلين هنا ؟

ـ أنا أعمل هنا .

ـ وماذا تعملين هنا ؟

ـ قالت (منى) وعلى وجهها ابتسامة مريرة :

ـ كما ترى .. موظفة بوزارة التموين .

نظر إليها بدهشة قائلاً :

ـ موظفة .. لكنى كنت أظن أننى سأعود لأجدك معيدة فى كلية الزراعة .. فقد كنت الأولى دائمًا على دفعتك طوال سنوات الدراسة .

ازدادت ابتسامتها مرارة وهى تقول :

ـ وكيف السبيل إلى ذلك ، ما دامت الوساطة والمحسوبية موجودة ؟

قال لها آسفًا :

ـ خسارة .. لقد كنت أثق بكفاءتك دائمًا .

واستطرد قائلاً :

ـ وماذا عن الماجستير والدكتوراة ؟

ـ لقد توقف طموحى عند البكالريوس .. خاصة بعد أن فقدت الوظيفة التى كنت أحلم بها .. كما أن وفاة والدتى ، بعد عام واحد من تخرجى ، جعلنى أفقد أهم من كان يناصرنى ويشجعنى ، بشأن تحقيق طموحاتى .

أرجو أن تتقبلى عزائى .

ـ أشكرك .

واستطردت قائلة :

ـ وأنت ماذا تفعل هنا ؟ وهل تنوى العودة إلى أمريكا مرة أخرى ؟

ـ هذا أمر يحتاج إلى شرح .

وتلفت حوله ، ثم أردف قائلاً :

ـ اسمعى .. هل لديك وقت لتناول الغداء معى ؟

قالت له بارتباك :

ـ فى الحقيقة .. أنا لا أريد أن أتأخر عن خالتى .. فأنا أحيا معها الآن و ...

قاطعها قائلاً :

ـ لن أؤخرك كثيرًا .. إننى أعرف مطعمًا قريبًا من هنا .. سنتناول فيه الغداء معًا .. وستكون هذه فرصة مناسبة لكى أحادثك ، بشأن المشروع الذى أقمته هنا .

نظرت إليه بدهشة قائلة :

ـ مشروع ؟!

ـ نعم .. لقد كنت أفكر فيك وأنا عائد من أمريكا ، وذهنى مشغول بإقامة هذا المشروع فى مصر .

نظرت إليه بارتباك قائلة :

ـ تفكر فىَّ أنا ؟ لماذا ؟

ـ إننا لن نقف لنتحدث فى هذا الأمر هنا .. دعينا نذهب إلى المطعم لنتناول الغداء معًا .. ثم أشرح لك الأمر .

قالت له وهى تتناول الغداء معه :

ـ أنك لم تخبرنى بعد يا دكتور ، ما الذى كنت تفعله فى الوزارة ؟

وما هو المشروع الذى أقمته هنا ؟ وما علاقة ذلك بى ؟

ابتسم قائلاً :

ـ الأ تنتظرين حتى ننتهى من تناول الطعام أولاً ؟

ـ إن الفضول يتملكنى .

تأملها قائلاً :

ـ دائمًا كنت فضولية يا (منى) .. وهذا ما نمّى فيك موهبة البحث ، أنا واثق بأنك كنت تستطيعين تقديم فائدة كبيرة ، فى مجال بحوث الإنتاج الزراعى ، لو عرفوا كيف يستغلون فضولك العلمى فى الكلية .. ولا أدرى كيف انتهى بك الأمر إلى أن تكونى موظفة على مكتب فى الوزارة .

تنهدت بأسى وكأن كلماته قد لامست وترًا حسّاسًا فى نفسها قائلة :

ـ قدرى ونصيبى يا دكتور .

قال لها بلهجة جادة :

ـ بل قولى إهدار للكفاءة .

قالت له بامتنان :

- أشكرك يا دكتور .

- أنا لا أجاملك .. فقد كنت تلميذتى فى أثناء تدريسى فى كلية الزراعة ، وكنت من القلائل ، الذين كنت أتنبأ لهم بمستقبل مرموق ، فى مجال البحوث الزراعية .

- لكنك لم تجب بعد عن أسئلتى .

- إن هذا يدخل فى صميم الموضوع الذى أردت أن أحادثك بشأنه .

- كيف ؟

- أولاً لقد جئت إلى الوزارة ، لإنهاء بعض الأوراق الخاصة بالمشروع الزراعى الذى أقمته .. وكنت قد فرغت من فورى من مقابلة وكيل الوزارة قبل أن ألتقى بك .

سألته بفضول قائلة :

- مشروع زراعى !!

- نعم .. لقد اشتريت قطعة أرض مساحتها عشرة أفدنة ، على بعد أربعين كيلومترًا من القاهرة ، وقمت بتحويلها إلى مزرعة لإنتاج الألبان وتسمين الأبقار ، بالإضافة لمصنع كامل التجهيز للبسترة .

- مشروع عظيم يا دكتور .

- نعم .. لكن مشروعًا كهذا ، يحتاج إلى مشرفين أكفاء ، لكى يكون ناجحًا .

مشرفين لديهم القدرة لا على الأشراف على إنتاج المزرعة فحسب .. ولكن أيضًا على تطويره ، وجعله متميزًا .. إننى بحاجة لأشخاص بعيدين تمامًا عن الأساليب التقليدية والروتينية فى العمل .

أشخاص لديهم الكفاءة والموهبة للابتكار والتحديث ، وأستطيع أن أثق بهم .

أشخاص مثلك يا (منى) .

نظرت إليه بارتباك قائلة :

- مثلى أنا ؟!

- نعم .

- أشكرك على هذه الثقة .. ولكن ..

- منى .. هل أنت متمسكة بهذه الوظيفة ؟ لا أعتقد أنها تناسبك بأى حال من الأحوال :

- أيعنى هذا أنك ترغب فى أن أترك وظيفتى ، لأعمل معك فى المزرعة ؟

ـ تمامًا .. هذا هو ما أريده .

صدقينى ـ ليس لأننا تقابلنا اليوم .. لكننى فكرت فى شخصية ، يمكننى أن أثق بقدرتها على مشاركتى تحمل مسئولية إدارة العمل فى هذه المزرعة .

اثنان من تلامذتى فى الكلية ، من الشباب الذى يتميز بالكفاءة والأمانة والحماس .

كنت أنت أحد هذين الشخصين .. لكننى بحثت عنك كثيرًا ، ولم أستطع العثور عليك ، إلى أن ساقتنى الأقدار لمقابلتك اليوم .

قالت وقد ازداد ارتباكها :

ـ لا أدرى ماذا أقول لك ؟ لكنك فاجأتنى .

ـ قولى إنك موافقة .. سأدفع لك راتبًا يوازى ما تأخذينه من الوظيفة ست مرات .. وربما جعلتك تحصلين على نسبة محدودة من أرباح المزرعة فيما بعد .

ـ إن ظروف العمل فى مزرعة كهذه ، بالنسبة لفتاة مثلى ...

ـ لن يكون الأمر مشكلة بالنسبة لك .. فستجدين

فتيات أخريات تعملن مثلك فى المزرعة .. وهناك سيارة صغيرة ، مخصصة لإعادتهن إلى منازلهن فى القاهرة .

أما إذا أردت الإقامة ، فيمكن تدبير سكن لك هناك .

لقد وضعت عصارة خبرتى ، وإمكانياتى الفنية والمادية ، فى هذه المزرعة يا (منى) .. وأنا بحاجة لأشخاص يمكننى الثقة بهم ، للقيام بأعبائها وتحويلها إلى مشروع استثمارى حقيقى ، يفيد الوطن ، ويحقق الربح الذى يتناسب مع حجم الاستثمارات التى وضعتها فيه .

إن المزرعة تحقق حتى الآن أرباحًا مبشرة .. لكننا فى البداية وأنا أريد تطويرًا أكبر بالنسبة لها .. ستعملين فى نفس مجال تخصصك ، وهو الإنتاج الحيوانى وبسترة الألبان .

ـ إن الأمر بحاجة للتفكير .

ـ أرجو ألا تضيعى الوقت فى التفكير .. يمكنك أن تحصلى على إجازه بدون مرتب ، لو كنت متخوفة من المخاطرة بالعمل فى المزرعة ، وترك الوظيفة ..

وإن كنت واثقًا بأنك لا ترحبين كثيرًا بتلك الوظيفة الإدارية .

- وماذا عن الشخص الآخر ؟

ابتسم الدكتور (فوزى) قائلاً :

- الشخص الآخر يعمل فى المزرعة بالفعل .. بل شاركنى فى العمل بها منذ البداية .. وذلك لأننى لم أجد صعوبة فىالعثور عليه ، أو إقناعه .

إنه شخص تعرفينه جيدًا .. لأنه كان زميلاً لك فى الكلية ، وكان بينكما ما يشبه التنافس .. فهو أيضًا كان من المتفوقين ..

قالت له وفى عينيها نظرة تساؤل :

- هل هو ....

اتسعت ابتسامته وهو يقول لها :

- (محمود درويش) .

أحست بقلبها يخفق بشدة ، وهى تسمع هذا الاسم .

فقد كان (محمود درويش) بالنسبة لها أكثر من زميل .

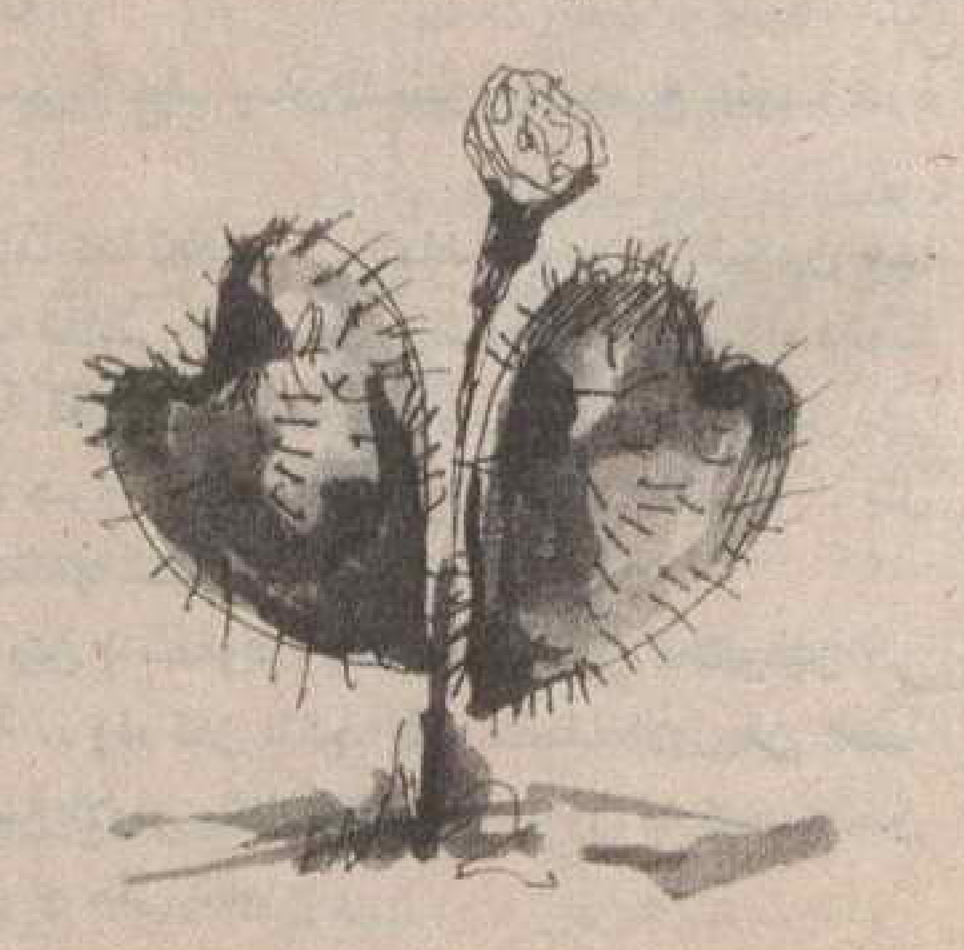
لقد كان هذا الشخص بالذات ، هو الشخص الوحيد الذى تحاول أن تمحوه من ذاكرتها .

لكن ها هو ذا اسمه يعود ، ليردها إلى الماضى الذى تحاول دائمًا أن تهرب منه .

ووجدت نفسها تهمس باسمه بصوت مرتجف قائلة :

- (محـ .. محمود درويش) ؟!

★ ★ ★



٢ - لقاء عدائى ..

امتدت الذاكرة بـ (منى) إلى تلك الأيام ، التى عرفت فيها (محمود درويش) ، والمنافسة التى كانت قائمة بينهما ، منذ سنوات الدراسة الأولى فى الكلية ، وحتى حصل كل منهما على بكالوريوس الزراعة .

وتعجبت كيف يمكن للسنين أن تجمع بينهما مرة أخرى !

تمامًا كما تعجبت فى الماضى ، من أن يكون هذا الشاب اللاهى المستهتر ، الذى كانت تراه دائمًا بصحبة الفتيات ، والذى لم يكن يمل من تمثيل دور الدون جوان ، قادرًا على النجاح والتفوق ، بل ومنافسًا لها احيانًا .

لم يكن (محمود) يعد واحدًا من المتفوقين فى البداية .. ولم تكن نتائجه فى النصف الأول من السنة الدراسية الأولى بالكلية تنبئ بأن يكون له نصيب من التفوق أو حتى النجاح .

لكنه أدهشها بنتائجه ، والدراجات التى أحرزها فيما بعد .. حتى إنها أحست بالغيرة منه فى بعض الأحيان .

وما لبثت أن تحولت هذه الغيرة مع الأيام ، إلى نوع من الاهتمام .. الذى تحول إلى عاطفة قوية ، أحستها فى حياتها لأول مرة .

خاصة حينما بدأ يبدى اهتمامًا مماثلاً نحوها ، ظنته إعجابًا ثم تصورته حبًّا .

لكن الأيام اثبتت لها عكس ذلك .. وأن الحب الذى توهمته لم يكن سوى وهم وزيف .

لذا قررت أن تنزع هذه العاطفة ــ التى لم تعرف سواها .. طوال حياتها ـ من قلبها إلى الأبد ، وأن تتفرغ لدراستها والاهتمام بمستقبلها فقط .

وها هو ذا اسم (محمود درويش) يعود ليبرز فى حياتها من جديد .. وتعود معه ذكريات تلك المشاعر لتتراقص فى مخيلتها .

مشاعر الحب .. والغضب .. والمنافسة .. والتحدى .

وفكرت فى العرض الذى قدمه لها الدكتور (فوزى) ،

والمزايا التى يمكن أن تحصل عليها من وراء العمل فى مزرعته .

لكن تلك المزرعة ستجمع بينها وبين (محمود) مرة أخرى .. الصفحة الوحيدة فى حياتها التى أرادت أن تطويها .

وأخذت تتحرك فى حجرتها حائرة .

أتقبل العرض الذى قدمه لها الدكتور (فوزى) بكل ما ينطوى عليه من مزايا ؟

أم ترفضه هربًا من لقائها بـ (محمود) ؟

ولكن .. ما الذى يدعوها للهرب ؟

إذا كانت قد نجحت فى التغلب على مشاعرها تجاهه ، وتجاهلت وجوده ، فى تلك الفترة التى جمعت بينهما فى الكلية .. خلال السنة الدراسية الأخيرة ، فلا بد أنها قادرة على ذلك ، خلال الفترة التى يمكن أن تجمعها به ، لو عملت معه فى المزرعة .

وإذا كانت قد نجحت فى طى صفحة الماضى كما تدعى بالفعل ، فإن عليها أن تثبت ذلك لنفسها .. وأن تلتقى بـ (محمود) كما تلتقى بأى شخص تتعرفه لأول مرة .

أما إذا أراد أن يتحدى قدرتها على النجاح فى العمل ، كما حاول أن يتحدى قدرتها على النجاح فى الدراسة .. فسوف تثبت له أنها أهل لهذا التحدى .. وأنها تستطيع أن تتفوق عليه دائمًا .

نعم .. إنها لن ترفض عرضًا مميزًا كهذا الذى قدمه لها الدكتور (فوزى) ، من أجل مخاوف لا أساس لها .

وتناولت سماعة الهاتف لتتصل بالدكتور (فوزى) فى الرقم الذى أعطاها إياه قائلة :

ـ دكتور (فوزى) .. لقد وافقت على العمل بالمزرعة .

ـ إننى سعيد بذلك .. وسأكون فى انتظار حضورك خلال الأيام القادمة .

أعادت السماعة إلى مكانها وهى حائرة .

ـ ترى .. هل اتخذت القرار الصائب أم لا ؟

وتراجعت فى مقعدها وهى تحاول أن تطمئن نفسها قائلة :

ـ بالطبع .. لقد اتخذت القرار الصائب ، ولن أحيد عنه .

توقفت السيارة أمام باب المزرعة ، حيث أشار لها السائق قائلاً :

ـ هذه هى المزرعة .

نقدته (منى) أجره وهى تشكره ، ثم غادرت السيارة ، وتوقفت أمام باب المزرعة ، وقد اعترتها الحيرة .

فالباب المعدنى مغلق ، ولا أثر لوجود أى شخص هنا ، برغم أنها حددت موعد وصولها للدكتور (فوزى) .

واقتربت من البوابة محاولة العثور على أحد .. ثم أخذت تنادى ، لكنها لم تتلق أى إجابة .

وفجأة رأت سيارة صغيرة تقترب لتقف بجوارها .

وغادرها شاب متوسط القامة ، قوى البنيان ، يتميز وجهه بوسامة ملفتة للأنظار .

نفس الوجه الذى عرفته خلال دراستها فى الكلية وأحبته .

توقف أمامها قائلاً :

ـ يسعدنى أن نلتقى ثانية يا آنسة (منى) .

كانت نبرته تحمل فى طياتها شيئًا من الجفاء .

قالت له وهى تمد له يدها مصافحة ، محاولة التغلب على رجفتها :

ـ أهلاً بك يا (محمود) .

قال لها وهو ينظر إليها بعينين باردتين :

ـ يبدو أن السائق أخطأ ، وأحضرك من الباب الخلفى للمزرعة .

ـ لقد حاولت العثور على أحد هنا و ...

قاطعها قائلاً ، وهو يمد يده لتناوله حقيبتها :

ـ هل تسمحين ؟

أسلمته الحقيبة ، وقد أثارتها تلك النبرة الجافة التى يحدثها بها .

ودعاها لركوب السيارة بجواره قائلاً :

ـ تفضلى .

قال لها وهو يقود السيارة :

ـ كنت أظن أنك ستعينين معيدة فى الكلية .

ـ هذا ما ظننته بالنسبة لك أيضًا .

ـ لم أكن لأحفل كثيرًا بمثل هذه الوظيفة ..

فالراتب الذى يحصل عليه معيد فى الجامعة لا يكفى للمعيشة فى مثل هذه الأيام ..

ـ آه .. المسألة تتعلق إذن بالاعتبارات المادية .

قال لها بنبرة ساخرة :

ـ ومن ذا الذى يستطيع أن يسقط الاعتبارات المادية من اهتمامه ؟ ألم تكن الاعتبارات المادية هى التى أتت بك إلى هنا ؟

ـ ليست الاعتبارات المادية وحدها بالطبع .. ولكن هناك أمورًا أخرى تفوقها أهمية بالنسبة لى من بينها أننى سأعمل فى مجال التخصص الذى درسته وأحببته ، وأرى أننى أستطيع أن أحقق نجاحًا ملموسًا فيه .

كما أنه يكفينى أن أعمل مع الدكتور (فوزى) أستاذنا الذى نكن له كل احترام وتقدير .

لم يعلق على إجابتها بشىء .. بل توقف أمام بوابة المزرعة الأمامية قائلاً :

ـ تفضلى .

وتناول حقيبتها ليحملها عنها .. فقالت له :

ـ يمكننى أن أحملها بنفسى .

توقعت أن يصر على حملها عنها ، أو يبدى اعتراضًا .. لكنه قال لها دون أن يتخلى عن جفائه ، وهو يعطيها لها :

ـ كما تشائين .

سارت إلى جواره ، وقد بدت لها المزرعة خالية تقريبًا .

فسألته قائلة :

ـ لماذا لا أرى أحدًا هنا ؟

أجابها :

ـ إنها الساعة المخصصة لتناول الغداء للعاملين فى المزرعة .

سألته قائلة :

ـ وإلى أين نحن ذاهبان الآن ؟

ـ لمقابلة الدكتور (فوزى) بالطبع .

ـ إننى أشعر بأنك غير مستريح لوجوى هنا .

قال لها بصراحة فجة :

ـ لا يمكننى أن أنكر ذلك .

ـ لماذا ؟

ـ لأننى لا أظن أن هذه المزرعة بحاجة إليك .

ـ تقصد أنها لا تتسع لكلينا .

ـ أظن ذلك .

ـ تمامًا كما كنت تقول حينما كنا زميلين فى الكلية .

ـ لقد ظننت أننى قد فرغت من هذه الزمالة الثقيلة ، التى جمعت بيننا فى الكلية .. ولم أكن أتصور أنها ستعود ، لتفرض نفسها علىّ مرة أخرى هنا فى المزرعة .

قالت له بتحدّ :

ـ مع الأسف إنك مضطر لقبول هذه الزمالة ، ما دام صاحب المزرعة يريد ذلك .

ـ ما دام الأمر كذلك .. إذن يتعين على كل منا ، أن يفهم دوره فى العمل هنا .

قالت بنفس النبرة المتحدية :

ـ هذا أيضًا من اختصاص صاحب المزرعة .. فهو وحده الذى يحدد لكل منا دوره فى العمل هنا .

وفى تلك اللحظة ظهرت إحدى الفتيات ، لتعترض طريقهما ، وهى تبتسم لـ (محمود) فى دلال قائلة :

ـ أين ذهبت يا باشمهندس ؟ لقد كنت أبحث عنك .

قال لها :

ـ كنت مكلفًا بإحضار المهندسة (منى) إلى المزرعة .

صافحتها الفتاة قائلة :

ـ أهلاً يا باشمهندسة .. مرحبًا بك فى المزرعة .. لقد سمعت أنك ستنضمين للعمل معنا هنا .

قدمها (محمود) لـ (منى) قائلاً :

ـ الآنسة (ناريمان) ابنة أخ الدكتور (فوزى) وتعمل فى إدارة الحسابات الخاصة بالمزرعة .

صافحتها (منى) قائلة :

ـ أهلاً بك يا آنسة (ناريمان) ، يسعدنى التعرف إليك .

ـ وأنا أيضًا يا آنسة (منى) .. إننا سنتقابل كثيرًا ما دمنا نعمل معًا هنا .

وعادت لتبتسم لـ (محمود) قائلة :

ـ سأنتظرك فى مصنع الألبان .

ابتسم لها قائلاً :

ـ سآتى إليك حالاً .

قالت (منى) لنفسها ، وهى ترقب انصراف الفتاة :

ـ لا بد أن بينهما شيئًا ما .. وأنها خدعت بـه كما خدعت الأخريات .

أشار لها بالدخول إلى فيلا أنيقة قائلاً :

ـ تفضلى .

دخلت (منى) لتجد الدكتور (فوزى) فى انتظارها ، حيث رحب بها بحرارة قائلاً :

ـ أهلاً يا (منى) ، يسعدنى حضورك إلى المزرعة .. هل وجدت صعوبة فى الوصول إلى هنا .

نظرت إلى (محمود) قائلة :

ـ كلا .. إن المهندس (محمود) ذلل كل الصعوبات .

ـ لا بد أن المهندس (محمود) سعيد بوجود زميلة قديمة له معنا هنا . ابتسمت بسخرية وهى تعاود النظر إلى (محمود) قائلة :

ـ هذا واضح .

قال له (محمود) :

ـ أى خدمة أخرى يا دكتور ؟

ـ هل تنوى أن تذهب ؟

ـ نعم .. فلدى عمل .

ـ ومن إذن الذى سيصحب (منى) لتعرف المزرعة .. هل نسيت أن هذا أول يوم لها هنا ؟

قالت (منى) سريعًا :

ـ لا داعى لتكليفه ذلك .. يمكن لأى شخص آخر أن ينوب عنه فى القيام بهذه المهمة ، ما دام الباشمهندس مشغول .

قال له الدكتور (فوزى) :

ـ حسن .. يمكنك أن تذهب أنت .. سأتولى أنا هذه المهمة بنفسى ..

استدار (محمود) منصرفًا ، فى حين تحول الدكتور (فوزى) إلى (منى) قائلاً :

ـ مابالى أراك غير سعيدة ؟ أمازلت مترددة بشأن عملك معى هنا ؟

ـ فى الحقيقة ؛ لا أظن أننى سأنجح فى العمل هنا .

ـ ما الذى يدعوك لهذا القول ؟

ـ مجرد إحساس .

ابتسم قائلاً :

ـ ياه ! هل مزرعتى مقبضة إلى هذا الحد ؟ ألا تنتظرين حتى تريها وتتعرفيها أولاً ؟

ـ ليس للأمر علاقة بالمزرعة .

ـ لكن له علاقة بـ (محمود) ، أليس كذلك ؟

نظرت إليه بدهشة ، فى حين استطرد قائلاً :

ـ لا تظنى أننى أجهل تلك المنافسة ، والعلاقة المضطربة التى كانت قائمة بينكما أيام الدراسة .. فقد كنت أستاذكما وقتها ، لكنى ظننت أن كل ذلك قد انتهى ، مع انتهاء الدراسة وانخراط كل منكما فى حياته العملية .

* * *



٣ ـ عالمى الجديد ..

قالت (منى) :

ـ حينما حضرت إلى هنا ظننت ذلك .. لكن يبدو أن (محمود) لا يتقبل وجودى هنا .

ـ كيف ذلك ؟

ـ هذا ما لاحظته من الطريقة التى استقبلنى بها .. ومن حديثه معى .

ـ لا أظن ذلك صحيحًا .. ربما أن هذا هو ما تصورته من رواسب المنافسة القديمة .. وعلى أية حال ، أنا صاحب المزرعة ، وأنا الذى أقرر من الذى يعمل معى ، ومن الذى لا يعمل معى ؟

ـ إننى لا أريد أن يتسبب وجودى هنا ، فى خلق أية حساسيات أو مشاكل .

ـ لن تكون هناك أية حساسيات أو مشاكل .. والآن قولى لى ، ماذا قررتِ بشأن إقامتك ؟ هل ستقيمين هنا فى المزرعة أم ستسافرين إلى القاهرة يوميًا ؟

يوجد هنا منزل صغير مخصص لإقامة ثلاث فتيات ،

ممن يعملن فى المزرعة ، ولا تسمح ظروفهن بالذهاب والعودة يوميًا .

ويمكن تدبير غرفة مجهزة لإقامتك معهن ، لو أردت ، أو أحسست أن فى السفر إرهاقًا لك .

ـ لقد أخبرت خالتى ، أننى ربما اضطررت للإقامة فى المزرعة بضعة أيام ، حتى تتضح الأمور بالنسبة لى ، وأستطيع أن أتعرف المزرعة .. ومتطلبات العمل الذى سأقوم به .

وأظن أنه يمكننى الإقامة هنا لمدة أسبوع ، فى البداية على الأقل .

ـ حسن .. كما تشائين .. والآن تعالى لآخذك فى جولة بالمزرعة ، وأوضح لك ما هو مطلوب منك من عمل .

★ ★ ★

سألته (ناريمان) قائلة :

ـ لماذا تبدو واجمًا هكذا ؟

قال لها وهو يحاول التخلص من حالة الغضب ، التى سيطرت عليه ؟

ـ أنا .. كلا مطلقًا .

ـ لكن التعبير المرتسم على وجهك ينطق بعكس ذلك .

ـ مجرد إرهاق .

ـ إرهاق .. أم أن الباشمهندسة الجديدة ، جددت بالنسبة لك مشاعر قديمة ؟

نظر إليها بانفعال قائلاً :

ـ ماذا تقولين ؟

قالت له وهى تحدجه بنظرة فاحصة :

ـ ألم تكن زميلتك خلال سنوات الدراسة بالكلية ؟

ـ هذا لا يعنى أن يكون بيننا مشاعر من ذلك النوع الذى تلمحين إليه .

ـ إننى أقول فقط إنه ربما ....

ـ لا تقولى شيئًا .. وكفاك ثرثرة .

قالت له معاتبة :

ـ أنا ثرثارة يا (محمود) ؟

قال لها بضيق :

أف ! أنا مخطئ لأننى أتيت إلى هنا .. سأذهب لأباشر عملى .

★ ★ ★

اصطحب الدكتور (فوزى) (منى) فى جولة داخل المزرعة ، حيث أطلعها على الحظائر التى تضم عشرات الأبقار ، كذلك حظائر الأغنام ، وعنابر الدواجن ، والحضانة المخصصة لحضانة البيض الذى يتم جلبه من الدواجن المخصصة للبيض فقط .. حيث يتم طرحه فى الأسواق .

وكذلك عنابر البط والأرانب .. ومعامل المعالجة البيطرية ..

وأخيرًا اصطحبها إلى المصنع ، المخصص لبسترة الألبان .. ثم المصنع المخصص لتصنيع منتجات الألبان ، من جبن وقشدة وزبد .

وما إن انتهت (منى) من زيارة مواقع المزرعة المختلفة ، حتى هتفت قائلة للدكتور (فوزى) :

- يا لها من مزرعة ضخمة !! إننى لم أتوقع أن تكون مزرعتك بهذا الحجم ، وتتوافر لها كل هذه الإمكانيات .

- إنها مشروع متكامل للأمن الغذائى كما ترين .. وقد وضعت فيها كل إمكانياتى .. وخبراتى .. ومازلت آمل فى التوسع أكثر من ذلك لكى تكون هذه

المزرعة من أكبر المزارع الإنتاجية ، على مستوى الدولة .

لكنى فى المرحلة الحالية ، بحاجة لكل معاونة مخلصة وصادقة ، لكى أحصل على النجاح الذى أنشده ، من وراء إقامة هذه المزرعة .

- لكن البلد ملىء بالخبرات ، التى يمكن لأصحابها أن يفيدوك فى هذا الشأن ، خبرات تفوق خبرة فتاة مثلى بلا شك .

- لقد قلت لك من قبل يا (منى) .. إننى لا أحتاج إلى الخبرة فقط ، لكى أكون مطمئنًا على نجاح هذا المشروع .. بل إلى الثقة أيضًا . إننى بحاجة إلى أشخاص يمكننى أن أثق بهم .

لقد جعلت (محمود) مشرفًا على العمل بهذه المزرعة ، لأنه أحد هؤلاء الذين أثق بهم ، برغم أنَّ المزرعة بها أشخاص يفوقونه خبرة ، لكن (محمود) وحده لايستطيع أن ينهض بعبء مزرعة كبيرة كهذه .

لذا أردت أن تشاركيه هذه المسئولية .

لقد عرفت كليكما عن قرب ، ولم أكن أتعامل معكما بصفتى أستاذًا فقط .. بل بصفتى أبًا لكما ..

وأعتقد أن كلاً منكما كان يعاملنى على هذا الاعتبار .

ـ بالطبع يا دكتور .. لقد كان هذا هو شعورنا نحوك ، بدرجة أكبر مما كنا نشعر به تجاه أى أستاذ آخر كان يدرس لنا .

ـ وأنا لم أتزوج ولم أنجب أبناء .. لذا فمازلت أنظر لكما ، على أنكما بمثابة أبناء لى .

وأظن أن من حق الأب ، أن يعتمد على أبنائه فى مساعدته فى عمله .

ـ اطمئن يا دكتور ، إننى سأبقى تلميذتك وابنتك كما كنت دائمًا .. وسوف أقوم بواجبى على النحو الذى تريده فى العمل هنا .

ـ بارك الله فيك يا بنيتى .. إن ما أريده منك ، هو أن تتولى الإشراف على مصنع بسترة الألبان إشرافًا كاملاً .. بالإضافة لمدّ يد المساعدة لـ(محمود) فى الإشراف جزئيًا على المزرعة بأكملها .

فهذا الشاب يبذل مجهودًا خرافيًّا فى العمل هنا .. وأرجو ألا يشعر بأنك تحاولين منافسته فى هذا المجال .. فربما أثار ذلك حساسيته .

ـ أتعشم أن يتأقلم هو مع وجودى هنا .

ـ إننى آمل أن يكون بينكما تعاون فعَّال ، لمصلحة العمل هنا .

والآن تعالى معى لأريك مقر إقامتك المؤقت ، وأتمنى أن يعجبك .

اصطحبها الدكتور (فوزى) إلى فيلا صغيرة ، فى أطراف المزرعة مكونة من طابقين .. حيث استقبلتهما فتاة تبدو جادة فى مظهرها ، تضع فوق عينيها منظارًا طبيًا ، حيث نظرت الفتاة إلى الدكتور (فوزى) بدهشة .. فهى لم تعتد حضوره إلى هنا .. قائلة :

ـ دكتور (فوزى) ؟!

سألها الدكتور (فوزى) قائلاً :

ـ (فاطمة) لماذا لم تذهبى إلى عملك فى الحضانة حتى الآن ؟

أجابته الفتاة وهى مرتبكة قائلة :

إن موعد دوريتى لم يحل بعد .. فالمهندس رءوف هو الذى يتولى الاشراف على الحضانة الآن .

ـ حسن .. وأين بقية زميلاتك ؟

ـ لقد ذهبن لمباشرة أعمالهن .

قال الدكتور (فوزى) وهو يقدم لها (منى) :

- أقدم لك الباشمهندسة (منى) زميلتكن الجديدة ، والتى ستتولى الإشراف على العمل فى مصنع بسترة الألبان والمزرعة .

أريد أن تلقى منكن كل معاونة وتقدير واحترام .. فهى ستكون بمثابة مساعدة لى .. ودورها هنا لن يقل عن دور الباشمنهدس (محمود) المشرف على المزرعة .

رحبت بها (فاطمة) قائلة :

- اطمئن يا دكتور ، ستلقى منا كل تعاون وإخلاص .

- حسن .. والآن اطلبى من العاملات هنا ، إعداد إحدى الغرف اللائقة لإقامتها .. وأرجو أن تتولى بنفسك تعريفها المكان .

ثم التفت إلى (منى) قائلاً :

- والآن .. هل تريدين منى أى شىء آخر ؟

قالت (منى) فى امتنان :

- أشكرك يا دكتور .

- ستجدينني معك دائمًا فى أثناء عملك فى المزرعة ، وإذا احتجت إلى أى شىء ، فيمكنك الحضور إلى فيلتى فى أى وقت .

ثم انصرف بعد أن ودَّعها ، وقد وقفت ترقبه ، وهى تشعر برهبة من المهمة الجديد التى هى مقبلة عليها .

وتنبهت لزميلتها وهى تمسك بمرفقها بلطف قائلة :

- دعينى أصحبك لتشاهدى غرفتك .

* * *



٤ ـ لا يسعنـــا مكـــان ..

وقفت (منـى) ترقب إحدى الأبقار المريضة باهتمام .. ثم التفتت إلى الشخص المكلف بإطعامها قائلة :

ـ إن هذه البقرة مريضة ، وبحاجة لعرضها على طبيب بيطرى .

وما لبثت أن سمعت صوتًا من خلفها يقول لها بنبرة متعالية :

ـ هذه البقرة تقرر عزلها مع بعض الأبقار المريضة الأخرى ، لحين عرضها على الطبيب البيطرى .. من قبل أن تقررى ذلك .

التفتت إلى (محمود) بتحد قائلة :

ـ ولماذا لم يحدث ذلك إذن ؟

نظر إليها بتحد مماثل قائلاً :

ـ لأننا لم نكتشف أنها مريضة إلا اليوم .

ـ كنت أظن أنه يتم فحص يومى لهذه الأبقار .. فهذه البقرة تبدو عليها علامات المرض واضحة ، مما يدل على أن هذا المرض أصابها منذ بضعة أيام .

عقد ذراعيه أمام صدره قائلاً بسخرية :

ـ لم أكن أظن أنك طبيبة بيطرية أيضًا .

ـ لست بحاجة لأكون طبيبة بيطرية ، لكى أستدل على مرض إحدى الأبقار .. فكلنا قد درسنا شيئًا عن أمراض الحيوانات .. وبعض علامات هذه الأمراض .. إلا إذا كنت قد نسيت ذلك .

قال لها وقد بدت ملامح الغضب على وجهه :

ـ هناك أشياء كثيرة لا يسهل نسيانها .

قالت له وهى تحاول أن تبدو صلبة أمامه :

ـ بالطبع هناك أشياء لا تنسى .

قال لها وهو يرمقها بنظرة متعالية :

ـ على أية حال .. هذه الأمور لا تخصك .

ـ من الذى أعطاك الحق فى أن تقرر ذلك ؟

ـ الإشراف على المزرعة من اختصاصى .

ـ لا تنس أننى أشاركك هذه المسئولية .. وفقًا لأوامر الدكتور (فوزى) .

ـ الدكتور (فوزى) كلفك الإشراف على مصنع الألبان .

ـ بالإضافة لمشاركتك مسئولية الإشراف على المزرعة .. ثم إن مسئوليتى الأساسية بالنسبة لمصنع الألبان تبدأ من سلامة الأبقار ، التى يتم حلب الألبان منها .. ثم توزيع هذه الألبان على خطوط الإنتاج فى المصنع .

ـ على أية حال ، إن هذا المصنع كان قائمًا قبل مجيئك إلى هنا ، ولم تحدث أخطاء بالنسبة لجودة الإنتاج فيه .

ـ بل حدثت أخطاء ، .وظهرت فى الأسواق ألبان غير صحية من إنتاج المزرعة وتم استخدام طرق لحفظ الألبان ، غير مطابقة للمواصفات المطلوبة ، مما تسبب فى خسائر كبيرة للدكتور (فوزى) ... وكادت تطيح بسمعة الألبان التى يتم إنتاجها هنا .. ولابد أنك تعرف ذلك جيدًا كما أعرفه .

قال لها وقد بدا عليه بعض الارتباك :

ـ لم أكن المسئول عن ذلك .

ـ ربما ليس بطريقة مباشرة .. لكنك تتحمل جزءًا

من المسئولية ، باعتبارك مسئولاً عن الإشراف على العمل هنا .

ـ إن قطاعات الإنتاج فى المزرعة متعددة .. والمسئولية التى أتحملها كبيرة ، مما يحد من قدرتى على الإشراف الكامل ، برغم الجهد الخرافى الذى أبذله ، والذى يشهد به الجميع هنا ، وأولهم الدكتور (فوزى) .

ـ عظيم .. إذن فقد اتفقنا ، إن طاقة العمل فى المزرعة تتجاوز قدرتك على الإشراف عليها إشرافًا كاملاً .. ولهذا كلفت مشاركتك هذه المسئولية تمامًا كما كلفت بتولى مسئولية مصنع الألبان ، بعد تنحية المسئول عن إدارته ، على إثر الخسائر التى تسبب فيها ، والأضرار التى ترتبت على وجود ألبان غير صحيَّة فى الأسواق .

ذلك لأن الرجل لم يكن أمينًا ومخلصًا فى عمله .. كما أنك لم تكن على المستوى المطلوب ، من حيث متابعتك لنشاطه وأمانته فى العمل .

فنظر إليها وقد تقلصت ملامح وجهه .. ثم صاح فيها بانفعال قائلاً :

- ما الذى تحاولين إثباته ؟

سألته قائلة :

- ماذا تقصد ؟

قال لها وقد ازداد انفعاله :

- أقصد أنك لو كنت قد جئت إلى هنا لإثبات تفوقك على ، كما كنت تحاولين أن تفعلى أيام الجامعة .. فأنت واهمة . لأن هناك فارقًا شاسعًا بين العلم والدراسة ، وبين الحياة العملية .. ومزرعة كبيرة كهذه ، لا تحتاج إلى التقديرات العالية التى كنت تتباهين بتحقيقها أيام الكلية .. بقدر حاجتها إلى رجل يتميز بالصلابة وقوة الشخصية لكى يديرها ، ويسيِّر الأمور بها .

نظرت إليه وفى عينيها نظرة تهكمية قائلة :

- لم أكن أعرف أن مسألة نجاحى وتفوقى هذه أيام الدراسة ، تسبب لك كل هذه التعقيدات .

صاح قائلاً بحدة :

- أنا لا أسمح لك بأن تسخرى منى هكذا .

قالت له بحدة مماثلة :

- وأنا لا أسمح لك بان تقلل من كفاءتى وقدرتى على العمل مثلك تمامًا .

قال لها وقد هدأت نبرة صوته قليلاً :

- أنا أريد أن يعرف كل منا دوره هنا .

- أنا أعرف دورى هنا تمامًا يا باشمهندس .. وعليك أنت ألا تتجاوز حدود الدور الذى كلفته هنا .

واستدارت لتنصرف دون أن تمنحه الفرصة للتعقيب بأى كلمة أخرى .

تأملها وهى تبتعد ، وقد بدا وجهه محتقنًا من شدة الانفعال .

وفى تلك اللحظة أتت (ناريمان) التى سمعت جزءًا من هذا الجدال بينهما .

حيث اقتربت منه قائلة :

- (محمود) .. ماذا بك ؟ لماذا تبدو منفعلاً هكذا ؟

اطلق زفرة قصيرة قائلاً :

- أظن .. أننى لن أستطيع أن استمر فى العمل بالمزرعة ، خلال المرحلة القادمة .

نظرت إليه بدهشة قائلة :

- لماذا ؟ ما الذى حدث ؟

- لن يمكننى الاستمرار فى العمل مع وجود هذه الفتاة .

ـ هل يقلقك وجودها إلى هذا الحد ؟

ـ إننى لم أعتد على أن يتدخل أحد فى اختصاصاتى .. وعمك يصر على أن تشاركنى هذا الاختصاص .

ـ عمى يريد أن يخفف عنك عبء المسئولية هنا .

قال لها بمرارة :

ـ إنك تستخدمين لفظًا بديلاً ومهذبًا ، بدلاً من أن تقولى إنه لم يعد يثق بقدرتى على تحمل المسئولية بمفردى .

ـ لا تقل هذا .. أنت تعرف أنه يثق بك ثقة كاملة ..

قال لها بسخرية :

ـ من الواضح .. لهذا أحضر هذه الفتاة .. وهذه الفتاة بالذات لكى تشاركنى مسئولية الإشراف على المزرعة .

ـ لماذا تأخذ الأمر بهذه الحساسية ؟ ولماذا تشعر بهذه الحساسية ، تجاه تلك الفتاة بالذات ؟

ـ هل ستعودين إلى هذه التلميحات مرة أخرى ؟

هزت كتفها قائلة :

ـ لا أستطيع أن أنكر أننى أشعر بفضول ، تجاه الصلة التى تجمعك بهذه الفتاة .

ـ قولى لى أنت أولاً .. لماذا تركت عملك وجئت إلى هنا ؟

ابتسمت قائلة :

ـ لأننى شعرت بأننى أفتقدك كثيرًا .. فأنا لم أرك منذ يومين وهذا كثير بالنسبة لى .

قال لها بجدية :

ـ (ناريمان) .. أنت تعرفيننى جيدًا .. وقت العمل للعمل .. وأنا لا أتسامح فى ذلك .

أما ما تقولينه فله وقت آخر .. وأظن أننا متفقان على ذلك .

ـ نعم أنا أعرف ذلك .. ولكن أليس مسموحًا لى ببعض الاستثناءات من آن لآخر ؟

ابتسم قائلاً :

ـ نعم وإذا كنت تظنين أن قرابتك للدكتور (فوزى) ستجعلك مستثناة ومميزة عن بقيّة العاملين هنا .. فأنت مخطئة .

ـ أعلم ذلك .. ولا تنس أننى أنا التى طلبته منذ البداية .. لكن لا تكن متطرفًا فى تطبيق القواعد إلى هذا الحد .

فلنقل إننى فى إجازة اليوم .. أليس لى الحق فى الحصول على إجازة مثل بقية العاملين هنا ؟

ما رأيك لو دعوتك اليوم على غداء شهى فى مطعم أنيق بعيدًا عن روتين العمل فى المزرعة ؟

ـ دعوة مغرية .. لكننى لا أجد الوقت للحصول على إجازة مثلك .

هزت كتفيها قائلة :

ـ لماذا ؟ إنك تستطيع الآن أن تحصل على الوقت الذى تحتاج إليه للترويح عن نفسك ، ما دامت زميلتك هنا ؛ فهى تستطيع أن تحمل عنك عبء العمل بمفردها لفترة من الوقت .

قال لها وقد عاوده الانفعال مرة أخرى :

ـ إن هذا هو ما تحتاج إليه تمامًا .. أن تنفرد بتولى مقاليد الأمور هنا ، وإثبات قدرتها على إدارة المزرعة بمفردها .. ودون شريك ، لكنى لن أمنحها هذه الفرصة .. كما أننى واثق بأنها لا تستطيع أن تضطلع بهذا العبء .. برغم غرورها وادعاءاتها .

تأملته (ناريمان) قائلة :

ـ (محمود) .. أتغار منها ؟

نظر إليها باستنكار قائلاً :

ـ أغار منها .. ما هذا الذى تقولينه ؟

ـ إن هذا واضح فى كل تصرفاتك .

ـ إنك أحيانًا تفسرين الأمور بشكل لا يحتمل .

★ ★ ★



٥ - صيغة للوفاق ..

جلس الدكتور (فوزى) يتناول إفطاره فى شرفة فيلته ، حينما دخل عليه (محمود) قائلاً :

- صباح الدكتور يا دكتور .

ابتسم الدكتور (فوزى) قائلاً :

- صباح الخير يا (محمود) .. تعال لتفطر معى .
- أشكرك يا دكتور .. لقد أفطرت .

أشار له الدكتور (فوزى) بالجلوس قائلاً :

- إذن أجلس لتشرب الشاى .

جلس (محمود) على استحياء ، حيث قدم له الدكتور (فوزى) الشاى بنفسه .

سأله (محمود) قائلاً وهو يحاول أن يستشف سبب استدعاء الدكتور (فوزى) له فى هذه الساعة المبكرة :

- لقد أخبرونى أنك تريد مقابلتى .. فتركت العمل فى حضانة البيض وجئت على الفور .

- لقد تابعت بنفسى إنتاج الحضانة ، خلال الأشهر الثلاثة الماضية من البيض .. وأسعدنى أن حجم الإنتاج كان وفيرًا ومبشرًا .
- الحمد لله يا دكتور .
- لكن هذا لا يمنع أن لى عتابًا عليك .

نظر إليه (محمود) بدهشة قائلاً :

- علىّ أنا ! لماذا يا دكتور ؟

قال له الدكتور (فوزى) بعد أن تناول رشفة من الشاى :

- لماذا ترفض التعاون مع (منى) ؟

ارتسم تعبير غاضب على وجه (محمود) وهو يسأله قائلاً :

- هل اشتكت لك (منى) ؟
- ليست بحاجة لأن تشكو .. فلى عينان أرى بهما .. وأنا أرى أن التنافر واضح بينكما .. ولا أدرى السبب فى ذلك .
- إنها تحاول التدخل دائمًا فى عملى .
- لكن دورها هنا هو مساعدتك فى عملك بالمزرعة .. وهذا هو ما تحاول أن تفعله .. فلا يمكن لومها على ذلك .

- عملها فى مصنع الألبان .

قال له الدكتور (فوزى) بنبرة تنطوى على شىء من الحزم :

- بالإضافة إلى الإشراف على بقية الأعمال الأخرى فى المزرعة :

- كنت أظن حينما عينتنى بالعمل هنا .. أننى سأكون المشرف الوحيد على أعمال المزرعة .

- أنا لم أقل هذا .. ثم إنك مازلت المشرف على إدارة مزرعتى ، و(منى) تتحمل معك فقط جزءًا من هذه المسئولية .

نهض (محمود) قائلاً :

- لكنى لم أطلب أن يتحمل أحد معى مسئولية الإشراف على المزرعة .

- لست بحاجة لأن انتظر حتى تطلب ، فأنا صاحب المزرعة وأنا الذى أحدد ما إذا كنت تحتاج لأحد يساندك فى عملك هنا أم لا .

- هنا يعنى أنك قد وجدت أننى لست أهلاً لتحمل المسئوليةَ التى كلفتنى إياها .

- ليس للأمر علاقة بما إذا كنت أهلاً لذلك أم لا ..

كل ما هنا لك أن أعمال المزرعة متنوعة .. والمسئولية كبيرة وبحاجة لمساندة ومساعدة ، وأظن إنك أنت نفسك قد قلت شيئًا من هذا القبيل يومًا ما ، خاصة بعد الإنتاج الفاسد لألبان المزرعة .

- كنت بحاجة فقط لمساعد لى .

- حسن .. اعتبرها مساعدة لك .. إذا كان ما يهمك هو المسميات .

- ولماذا اخترتها بالذات ؟

- لأننى أثق بها وبكفاءتها .

واستطرد قائلاً :

- ثم قل لى .. لماذا هذا البغض من جانبك ، حتى إنك لا تتحمل وجودها هنا ؟

كنت أظن .. أنك ستسعد ، لوجود زميلة قديمة تشاركك العمل هنا .. أم أن المنافسة الدراسية السابقة بينكما مازالت آثارها باقية فى نفسك ؟

إن المنافسة الشريفة على النجاح والتفوق ، أمر مطلوب ومحمود ، ولكن ينبغى أن يكون فى إطار من المودة والروح الرياضية والزمالة ، لا أن يولد أحقادًا وغلاً تظل آثاره باقية فى النفوس إلى ما لا نهاية .

ـ هنا الكلام أحق أن يوجه لها هى .

ـ لكما أنتما الاثنان .. ولو أنى لا أرى من جانبها ، ما يشير إلى وجود أى غلٍّ أو حقد .

ـ ذلك لأنها تجيد التمثيل .. أما أنا فواضح وصريح .

ـ صاح الدكتور (فوزى) بغضب قائلاً :

ـ كفى ! إننى لا أسمح لك أن تتحدث عن زميلتك هكذا .

وصمت برهة حتى يهدَئ من انفعاله .. ثم أردف قائلاً :

ـ كنت أظن أن هذه المنافسة على النجاح والتفوق ، التى كانت قائمة بينكما .. ستكون فى صالح العمل هنا .. إذا حاول كل منكما إثبات قدراته فى إنجاح المزرعة .

لكن هذا يحتاج إلى وفاق وتعاون ، وليس إلى بغض وتنافر .

ـ على أية حال أنا تحت أمرك يا دكتور (فوزى) .. إذا كنت ترى أن وجودى سيكون عائقًا أمام نجاح العمل هنا .. فإننى مستعد لترك المزرعة فورًا .

ـ كفى لعب أطفال .. إن ما أريده ، هو أن تحاول أن تتعاون مع زميلتك السابقة والحالية ، وأن تعملا معًا على تقديم أفضل ما لديكما لصالح الإنتاج فى المزرعة .

ـ لكن ....

قاطعه الدكتور (فوزى) بحزم قائلاً :

ـ انتهت المناقشة .. يمكنك أن تعود الآن إلى عملك .

انصرف (محمود) فى اللحظة التى كانت فيها (منى) مقبلة على الشرفة .

حيث حيته قائلة :

ـ صباح الخير .

لكنه لم يجبها .. بل حدجها بنظرة تنم عن الغيظ وانصرف .

اقتربت (منى) من الدكتور (فوزى) وقد أغضبها عدم ردّ (محمود) على تحيتها لكنها تمالكت نفسها وهى تحييه قائلة :

ـ صباح الخير يا دكتور (فوزى) .

ـ صباح الخير يا (منى) .

ودعاها إلى الجلوس قائلاً :

ـ اجلسى يا (منى) .

ـ لقد حضرت بمجرد إرسالك فى طلبى .

ـ لقد تحدثت مع (محمود) ، بشأن ما يتعين أن تكون الأمور عليه بينكما فى العمل هنا .

وأرجو أن يأتى هذا الحديث بثماره ، وأن يؤدى إلى تعاون ملموس وحقيقى بينكما :

ـ من ناحيتى .. فإننى آمل ذلك .

ـ على أية حال .. إذا لم يلتزم (محمود) بما طلبته منه ، فإنه يتعين عليك أن تخبرينى بذلك .. لأنه سيكون لى فى هذه الحالة أن أتخذ القرار المناسب .

سألته (منى) بانزعاج قائلة :

ـ أى قرار يا دكتور ؟

ـ سأفصل (محمود) من العمل هنا .

ـ هذا ما أرفضه تماماً .. وإذا سارت الأمور على هذا النحو . فإننى أفضل أن أترك أنا العمل فى المزرعة .

قال لها بانفعال :

ـ هل يريد كل منكما أن يسير الأمور على هواه ؟

أنا الذى أحدد من الذى يذهب ومن الذى يبقى ؟

ـ وأنا لن أكون سبباً فى قطع رزق أى شخص يعمل هنا ، أو فى أى مكان آخر .

ـ الشخص الذى يريد أن يحافظ على رزقه ، يتعين عليه أن يلتزم بما تقتضيه ظروف العمل هنا .

وصمت برهة قبل أن يردف قائلاً :

ـ على أية حال .. إننى أشكر لك هذه الأخلاق النبيلة .. وهذا يؤكد أن رأيى فيك كان فى محله .

واطمئنى فأنا لن أفرط فى (محمود) بسهولة .. لأن رأيى فيه أيضاً أنه أفضل مما يبدو عليه .

لكن يتعين عليكما أن تجدا صيغة للتعايش معاً .. لصالحكما ولصالح المزرعة .

* * *



٦ - الزائـــــر ..

كان واقفًا ليشرف على نقل الأبقار الجديدة التى تم جلبها للمزرعـة ، وقد تساقطت حبات العـرق علـى جبهته السمراء .

تأملته (منى) من بعيد للحظة .. وقد أحست تأثير جاذبيته عليها .

لكنها سرعان ما نفضت عنها هذا الإحساس ، وقد لامت نفسها عليه .

وما إن انتهى مـن نقـل الأبقـار إلـى الحظـائر ، وأصدار تعليماته للعاملين بشأنها .. حتى تقدمت نحوه لتعترض طريقه .. قائلة :

- مساء الخير يا (محمود) .

نظر إليها شذرًا .. وهو يرد عليها تحيتها .

ابتسمت قائلة :

- على الأقل لقد رددت التحية هذه المرة .

سألها قائلاً :

- ماذا تريدين ؟

- أريد أن نضع حدًا لهذا الأسلوب فى التعامل بيننا .

قال لها وهو يواصل سيره :

- وما هو الأسلوب الذى تفضلين أن أعاملك به ؟

قالت له وهى تسير بجانبه :

- الأسلوب الذى يتعامل به أى اثنين يتعاونان معًا .. فى تحمل مسئولية عمل واحد .

- الأسلوب الأمثل ، هو ألا يتدخل أى منا فى عمـل الآخر .

قالت له وهى تكظم غيظها من أسلوبه فى التحـدث معها :

- حسن .. ولكن ماذا لو أن عمل كل منـا مرتبط بعمل الآخر ؟

- إن عملك ينبغى ألا يتعدى حدود مصنع الألبان .

- لكن الدكتور (فوزى) له رأى آخر ، فما قولـك فى ذلك ؟

نظر إليها بعينين غاضبتين دون أن يجيبها .

بينما قالت له :

- هل ترى ؟ لا مناص من أن نتعاون فى الإشراف

على المزرعة ، صدقنى ، إننى لست سعيدة ولا مهتمة بذلك .. لكنى لا أستطيع أن أرفض عملاً كلفنى إياه الدكتور (فوزى) .

ـ لا تحاولى الإيعاز إلىّ بأنك عازفة عن هذا العمل .

ـ إننى لم أسع منذ البداية للحضور إلى هذه المزرعة .. ولم يكن فى مخيلتى أننا سنلتقى مرة أخرى .

ـ لكنك لم تتوانى عن الحضور إلى هنا ، حينما عرض عليك الدكتور (فوزى) .

ـ وما الذى يدعونى إلى رفض عمل يتناسب مع طموحاتى ؟ خاصة إذا كان صاحب العمل هو الدكتور (فوزى) ؟

ـ ولماذا لم تقولى بأن وجودى هنا ، أغراك بالعودة إلى منافستى من جديد ، ومحاولة إثبات تفوقك علىّ ؟

قالت له وقد أثارتها كلماته :

ـ لست بحاجة لإثبات تفوقى عليك .. فأنا لا أحمل أية تعقيدات بهذا الشأن ، لأننى كنت متفوقة عليك دائمًا .

نظر إليها بازدراء قائلاً :

ـ يا لك من إنسانة متكبرة ومغرورة .

احتدت عليه قائلة :

ـ أنا لا أسمح لك ..

ـ لكن صوتًا قطع عليها الاسترسال فى ردها عليه .

فقد كان هناك شخص يناديه قائلاً :

ـ (محمود) .

لوح (محمود) لصاحب الصوت الذى كان يقترب منه قائلاً :

ـ (ياسر) !! متى جئت ؟

تطلعت (منى) إلى الشاب الوسيم ، ذى الشعر الذهبى والابتسامة البشوش .. وهو يقبل عليهما قائلاً :

ـ منذ ساعة واحدة فقط .. لقد سألت عمى عنك فأخبرنى أنك هنا .. فجئت على الفور لأسلم عليك .

وألقى نظرة متأملة على (منى) قائلاً :

ـ ألا تعرفنى بالآنسة ؟

سعل (محمود) قائلاً :

ـ آه .. الباشمهندسة (منى) .. زميلتنا الجديدة فى المزرعة .

قالت (منى) وهى تقدم نفسها للشاب الذى لم يرفع عينيه عنها :

ـ يقصد زميلته فى الإشراف على العمل فى المزرعة .

مدّ لها يده مصافحًا ، وقد اتسعت ابتسامته وهو يقول :

ـ تشرفنا .

ثم لكز (محمود) فى جانبه قائلاً :

ـ ألا تكمل التعارف ؟

قال لها (محمود) وقد بدا أنه يستثقل هذه المهمة :

ـ الأستاذ (ياسر) أخو الآنسة (ناريمان) ، وابن أخ الدكتور (فوزى) .

ابتسمت قائلة وهى تنزع يدها من يده :

ـ تشرفنا يا أستاذ (ياسر) .. هل تعمل معنا هنا ؟

قال لها ضاحكًا :

ـ كلا .. إننى آتى إلى هنا من آن لآخر ، لأستمتع بجمال الطبيعة وهدوئها .. وأمارس عملى وسط هذه الطبيعة الخلابة ، وأيضًا لاطمئن على أختى وعمى .

سألته قائلة :

ـ وما هو العمل الذى تقوم به هنا ؟

ـ الرسم .

تدخل (محمود) فى الحديث قائلاً :

ـ (ياسر) خريج كلية الفنون الجميلة .. وهو يظهر هنا أحيانًا لرسم بعض اللوحات ، ثم لا يلبث أن يختفى فجأة كما ظهر .

قال (ياسر) وهو ينظر إلى (منى) بإعجاب ظاهر :

ـ أظن أن إقامتى ستطول هذه المرة .

نظر (محمود) إليه ، وقد لاحظ النظرة التى ينظر بها إلى (منى) .. فبدا عليه الضيق .

وتأهب للانصراف قائلاً :

ـ عن إذنك .. سأذهب لإنجاز بعض الأعمال .

قال (ياسر) :

ـ لكننا لم نلتق منذ فترة طويلة .. وأنا أرغب فى الحديث معك .

ـ سنلتقى فيما بعد .. وسنتحدث معًا طويلاً .. لكننى سأنجز ما هو مطلوب منى أولاً .

همت هى الأخرى بالانصراف قائلة :

ـ وأنا أيضًا سأذهب لعملى .

لكن (ياسر) استوقفها قائلاً :

ـ هل سترحلين أنت أيضًا ؟ إن هذا يشعرنى كما لو كنت ضيفًا ثقيلاً عليكما .. ما دمت لا ألقى أى ترحيب .

قالت له (منى) وهى تستغرب رفعه للكلفة بينهما على هذا النحو ، برغم عدم وجود سابق معرفة :

ـ العفو .. أنت هنا فى مزرعة عمك .

ـ لكننا لم نتعارف جيدًا بعد .

قال (محمود) بنبرة تهكمية وهو ينصرف :

ـ سأترك لكما الفرصة للتعارف جيدًا .. وسيكون لقائى معك الليلة بعد انتهائى من العمل ، لنستكمل حديثنا معًا .

ابتسم (ياسر) قائلاً :

ـ حسن .. سأكون فى انتظارك بمقرى الرسمى .. فلدى الكثير لأقوله لك

بينما أحست (منى) بحرج بالغ ، إزاء هذه النبرة التهكمية ، ووقوفها مع (ياسر) على هذا النحو .

التفت إليها (ياسر) قائلاً بجرأة غريبة :

ـ أظن أن عملك ليس بالضرورة الملحة ، التى تجعلك تتركيننى وتنصرفين الآن .

قالت له :

ـ وما أدراك بذلك ؟

ـ هل أفهم من هذا ، أنك مصرة على أن تذهبى وتتركينى الآن ؟

قالت له وقد أغضبتها جرأته :

ـ أستاذ (ياسر) ..

لكنه قاطعها قائلاً :

ـ (ياسر) فقط .. من فضلك .

ثم أمسك بمرفقها برفق ، وهو يتأهب ليصحبها فى السير بدلاً من (محمود) . وقد أردف قائلاً :

ـ على أية حال .. نستطيع أن نسير معًا إلى مكان العمل الذى كنت فى طريقك إليه .

لكنها جذبت مرفقها من يده .. وهى تجاهد فى إخفاء ضيقها ، من الأسلوب الذى يفرض به نفسه عليها ، وإن لم تستطع إخفاء إعجابها به وبشخصيته :

سألته قائلة :

ـ هل تتبع هذا الأسلوب دائمًا فى التعامل مع الآخرين ؟

نظر إليها قائلاً :

ـ أى أسلوب ؟

ـ أعنى رفع الكلفة بينك وبين من تلتقى بهم للمرة الأولى

ابتسم قائلاً :

ـ آه .. هذه إشارة واضحة إلى أن محاولتى للتقارب معك لا تلقى استحسانًا منك .

صمتت دون أن تعلق بشىء .

بينما توقف عن مواصلة السير قائلاً :

ـ على أية حال أنا آسف .. بالطبع .. أنا لا أتبع هذا الأسلوب دائمًا مع كل من ألتقى بهم .. لكننى أردت أن أختصر خطوات طويلة ، لرغبتى فى أن نكون أصدقاء .

عقدت ذراعيها أمام صدرها قائلة :

ـ وما الذى جعلك تتصور أننا يمكن أن نكون أصدقاء ؟

تأملها بنظراته قائلاً :

ـ إنه مجرد إحساس .. وإعجاب أحسست به نحوك من الوهلة الأولى .

قالت له معترضة :

ـ أستاذ (ياسر) .. من فضلك .

ـ لقد صرحت لك بما أحسست به حينما رأيتك .. وأجبت على سؤالك بوضوح . لكن يبدو أن الصراحة والوضوح ، لا يرضيان أحدًا هذه الأيام . على أية حال لا تغضبى .. لن أفرض نفسى عليك أكثر من ذلك ، وسأنصرف .

واستدار عائدًا من حيث أتى .

لكن الدكتور (فوزى) ظهر فجأة .. بعربته الصغيرة المخصصة للتجوال داخل المزرعة ، وأوقف العربة بجوارهما وهو يبتسم قائلاً لـ(ياسر) :

ـ (ياسر) .. هل أنت هنا ؟

ـ نعم يا عمى .. لقد كنت أجول قليلاً فى المزرعة .

قال له الدكتور (فوزى) وهو ينظر إلى (منى) :

ـ هل تعرفت المهندسة (منى) ؟

أجابه قائلاً وهو ينظر إلى (منى) بدوره :

ـ نعم .. وأظن أنك قد حصلت على مشرفة ممتازة .

سألها الدكتور (فوزى) وهو يحيط كتفى (ياسر) بذراعه :

ـ ما رأيك فى ابن أخى ؟ هذا الفنان البوهيمى .

أجابته قائلة :

ـ لقد شرفت بالتعرف إليه .

تحدث إليه الدكتور (فوزى) قائلاً :

ـ المهندسة (منى) كانت إحدى تلميذاتى .. وقد انتقيتها بعناية . هى و (محمود) من بين كل تلاميذى فى الكلية ، لكى أعهد إليهما بالإشراف على المزرعة . فقد كان الاثنان هما الأفضل دائمًا خلال سنوات الدراسة .

ـ من الواضح أن اختيارك جاء موفقًا يا عمى .

التفت الدكتور (فوزى) إلى (منى) قائلاً :

ـ ما رأيك فى أن تصحبيه فى جولة داخل مصنع الألبان والبسترة ، لإطلاعه على التطوير الذى أدخلناه عليه ، وكيفية معالجة عينات الألبان قبل بسترتها ؟

ثم التفت إلى ابن أخيه قائلاً :

ـ أم أنك مازلت غير مهتم بمثل هذه الأمور ؟

قال له (ياسر) :

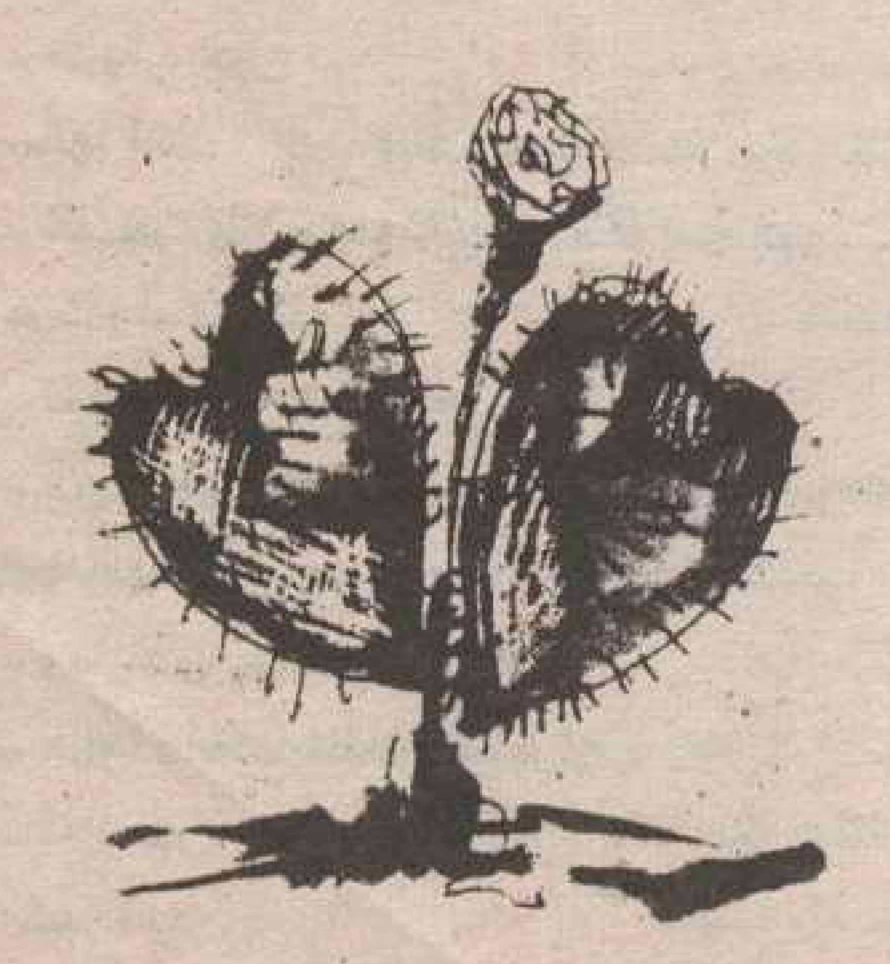
ـ بالعكس .. لقد بدأت أشعر بالاهتمام بأعمال المزرعة :

وابتسم وهو ينظر إلى (منى) .. ثم مط شفتيه ، وهز كتفيه كما لو كان يقول لها :

ـ لا مفر من أن نستمر فى صحبتنا معًا .

وبدت متضايقة للحظة .. ثم لم تملك أن تمنع نفسها من الابتسام .

* * *



٧ ـ فتـــاة من المــــاضى ..

همس لها قائلا :

ـ آسف .. إذا كنت قد اضطررت لمصاحبتى .. لكن ماذا نفعل .. هذه هى إرادة عمى .

ابتسمت قائلة :

ـ ما باليد حيلة .

سألها قائلاً :

ـ لقد كنت و (محمود) زملاء دراسة إذن .

هزّت رأسها قائلة :

ـ نعم .

ـ إذن لماذا تبدوان غير متفقين على النحو الذى رأيتكما عليه ؟

ـ وما الذى يجعلك تظن ذلك ؟

ـ حينما رأيتكما كنتما تتشاجران .

ـ كان مجرّد خلاف فى الرأى .

ابتسم قائلا :

ـ خلاف فى الرأى بهذه الطريقة الصاخبة .

ـ ألا ترى أنك تدس أنفك فيما لا يعنيك ؟

قال لها وهو يعاود الابتسام :

ـ هذا مؤشر طيب .

ـ مؤشر على أى شىء .

ـ لقد بدأت تجترئين علىّ فى القول .. وهذا يعنى أننا يمكن أن نصبح أصدقاء .

قالت له بحدة :

ـ أستاذ (ياسر) ...

لكنه قابل حدتها بهدوء قائلا :

ـ (ياسر) فقط .. فلا داعى للرسميات بين الأصدقاء .

★ ★ ★

وقف (ياسر) أمام إحدى لوحاته يراجع ما رسمه وهو ممسك بالفرشاة ، حينما سمع صوت (محمود) يتحدّث إليه :

ـ يا لها من لوحة رائعة .

التفت إليه قائلا :

ـ هل أعجبتك ؟

ـ أنت تعرف .. أننى لا أجامل .. إن لستك الفنية تبدو أكثر وضوحًا هذه المرة عن المرات السابقة .

ـ لقد انتهيت منها تقريبًا .. وسأبدأ على الفور فى رسم لوحة أخرى .

ـ يبدو أن شهيتك قد تفتحت للرسم .

ـ فعلاً .. إننى أشعر بحماس شديد للرسم .. وأظن أننى قد جئت للمكان المناسب ، فى الوقت المناسب .

ـ أأكون قد عطلتك .

ـ بالعكس .. إننى بحاجة للحديث معك .

ـ لكن لا تعطلنى كثيرًا .. فعندى الكثير من الأعمال .

ـ ألا تنتهى أعمالك هذه أبدًا ؟

ـ هذا ما تفرضه علىّ مسئولية الإشراف على المزرعة .

ـ وماذا عن زميلتك الجديدة ؟

ـ تقصد (منى) ؟ إنها مازالت حديثة العهد بالعمل هنا ، ولا يمكن أن تتولى هذا الأمر بمفردها .

ـ بالمناسبة .. ما رأيك فيها ؟

نظر إليه (محمود) بتساؤل قائلا :

ـ ماذا تعنى ؟

ـ لقد كانت زميلتك منذ سنوات الدراسة .. ولا بد أن لك رأيًا محددًا بشأنها .

ـ وما الذى يهمك من رأيى بشأنها ؟

قال له (ياسر) بامتعاض :

ـ يا لك من شخص ثقيل الظل ! لماذا لا تجيب عن سؤالى مباشرة ، بدون هذه التساؤلات المملة ؟

وفى تلك اللحظة جاءت (ناريمان) ، وقد أخذت تلوح لهما وهى مقبلة عليهما .

وابتسمت لـ (محمود) قائلة :

ـ كيف حالك يا (محمود) ؟

قال لها ببرود :

ـ بخير .

والتفتت إلى أخيها قائلة :

ـ وما أخبار الفنان المبدع ؟

ابتسم (ياسر) قائلا :

ـ فى أحسن حالاته .

استدارا لتواجه اللوحة التى يرسمها قائلة :

ـ دعنا نر هذا .
وأطلقت صفيرًا قصيرًا وهى تنظر إلـى اللوحـة قائلة :
ـ رائعة .. وألوانها تكاد أن تنطق .. هناك تقدم ملحوظ بلا شك .
قال لها بطريقة مسرحية :
ـ أشكرك على هذا التقدير الذى أعتز به يا أختى العزيزة .
نظر (محمود) إلى ساعته قائلا :
ـ أظن أنه يتعين علىّ أن أنصرف .. فقد حان وقت عودتى إلى العمل .
صاح (ياسر) قائلا :
ـ تنصرف إلى أين ؟ إننا لم نكمل حديثنا معًا بعد .
ـ سنستكمله فيما بعد .
ـ متى ؟ إننى منذ أن أتيت إلى هنا وأنا لا أستطيع أن أتحدث معك ، ولو نصف ساعة كاملاً .
ـ ما زالت الأيام أمامنا كثيرة .
تدخلت (ناريمان) فى الحديث قائلة :
ـ هل قطعت عليكما حديثًا خاصًا ؟

ردّ (ياسر) :
ـ نعم .. أنت دائمًا تأتين فى أوقات غير مناسبة .
ـ يمكننى أن أعود من حيث جئت لو أردتما .
تدخل (محمود) :
ـ لا داعى لذلك .. فأمـامى أعمـال يتعين علىّ أن أنجزها .
قال (ياسر) :
ـ وأنا أيضًا أمامى لوحة أريد أن أنجزها .
ـ حسن لا تغضب .. سأذهب وأتركك للوحتك .
وأسرعت لتلحق بـ (محمود) قائلة :
ـ سآتى معك .
وما إن ابتعدا حتى همست له قائلة :
ـ (محمود) .. لماذا لم أعد أراك كثيرًا كما كنا من قبل ؟
ـ إن أعباء العمـل قد زادت عما كانت عليه من قبل .
قالت له بلهجة معاتبة :
ـ لا تتعلل بالعمل .. فلم تكن أية أعباء تحول دون لقائنا من قبل .

تحول إليها قائلاً :

ـ (ناريمان) .. علينا أن نكون أكثر تعقلاً ، ونسأل أنفسنا ، ما جدوى هذه اللقاءات ؟ وما معناها ؟

نظرت إليه كما لو كانت قد صدمتها كلماته قائلة :

ـ الآن تتساءل ما جدوى هذه اللقاءات وما معناها ؟ هل نسيت ما كنت تقوله لى من قبل ؟ أنسيت كلماتك لى خلال مقابلاتنا الأولى ؟

تنهّد قائلا :

ـ كنا نتصرف كمراهقين .

ـ هل تسمى مشاعرك نحوى بتصرفات مراهقة ؟

ـ نعم .. لقد قربت بيننا الظروف فى هذا المكان ، ووجد كل منا ميلاً تجاه الآخر .. لكن كان يتعين علينا أن نكون أكثر نضجًا ، وأن نتوقف عن الاندفاع وراء هذه العاطفة ، التى جمعت بيننا ، لنتساءل .. إلى أين تأخذنا هذه العاطفة ؟

قالت له وهى ترمقه بنظرة لوم :

ـ عليك أنت أن تحدّد الإجابة .

ـ فى الحقيقة لا أدرى كيف تكون الإجابة .. إنك فتاة ثرية .. وأنا .. أنا لست سوى أجير يعمل هنا فى مزرعة عمك المليونير .

ـ أن يكون عمى مليونيرًا .. فهذا لا يعنى بالضرورة أن أكون فتاة ثرية ؛ لأنك تعلم جيدًا أننى لا أعتمد على ثروة عمى فى شىء .. كما تعلم أننى هنا أجيرة مثلك .. وأتقاضى راتبًا شهريًا على عملى فى المزرعة .

وعدا إقامتى فى الفيلا مع عمى ، فلا أظن أننى أتميز كثيرًا عن العاملين هنا .

ـ لكنك وريثته أنت وأخوك .. وستئول هذه الثروة إليك فى يوم من الأيام .

ابتسمت قائلة :

ـ هذا إذا لم يتزوج وينجب .. ثم من منا يضمن أن يموت بعد غيره فى هذه الحياة ؟ ومن ذا الذى يستطيع أن يجزم بما إذا كان سيرث أم يورث ؟

دعك من هذا وقل لى .. ما الذى بدّلك على هذا النحو ؟

أطلق (محمود) زفرة قصيرة قائلا :

ـ بصراحة .. إننى غير مستريح لهذه اللقاءات ، التى تتم من وراء ظهر عمك . إن هذا يؤرق ضميرى .. خاصة وأننى أحمل للدكتور (فوزى) تقديرًا واحترامًا كبيرين .. كما أحمل له دينًا فوق أكتافى .

تأملته قائلة باستنكار :

ـ من يسمعك تتحدّث هكذا .. يظن أن بيننا علاقة غير سوية .

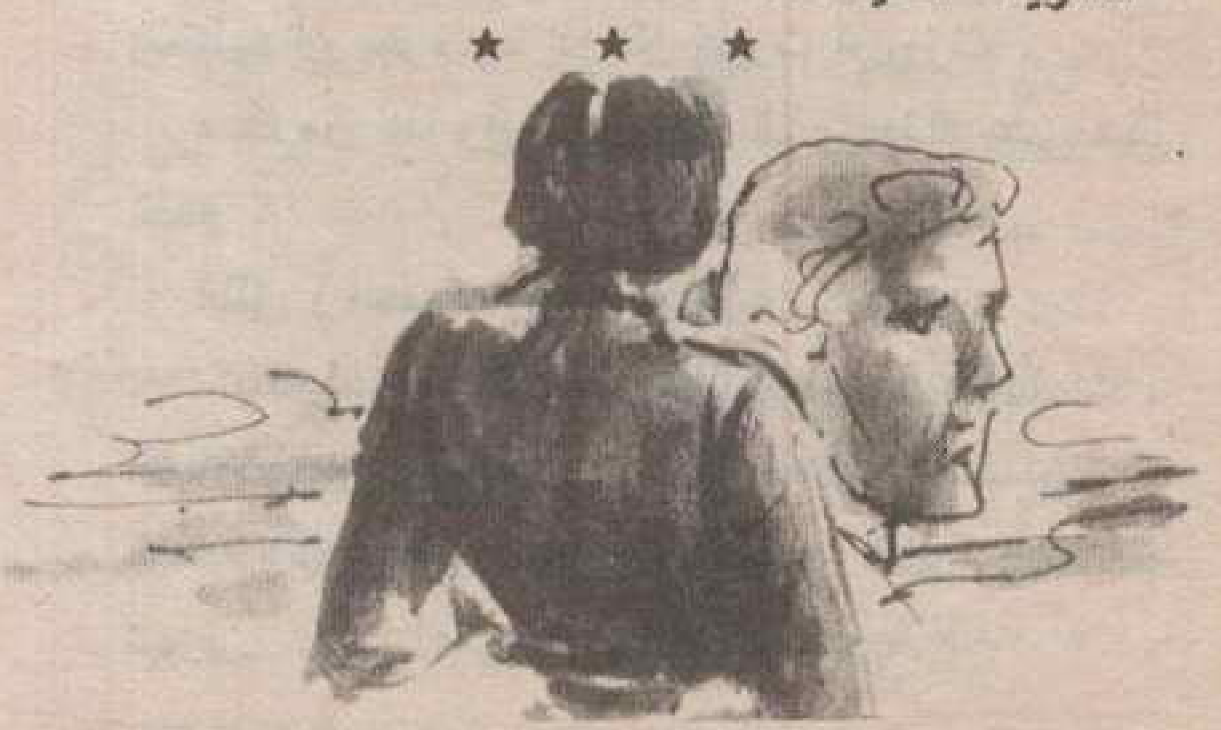
ـ حتى لو كانت هذه اللقاءات بريئة .. فهى تحمل قدرًا من الخيانة للثقة التى أولانى عمك إياها .

قالت له بانفعال :

ـ كفاك تحدثًا بهذا الأسلوب .. كما لو كنت تتهمنى بأننى أيضًا قد خنت هذه الثقة .

لماذا لا تقول إن الذى بدّل أحوالك هكذا ، هو وجود هذه الفتاة فى المزرعة ؟ وأنها قد جدّدت لك الذكريات القديمة ؟!

* * *



٨ ـ لحظة ندم ..

احتد عليها قائلاً :

ـ ماذا تقولين ؟

قالت له بانفعال مماثل :

ـ أتظننى غبية أم عمياء ! إن تصرفاتك وأحوالك قد تبدلا كثيرًا ، منذ أن وطئت أقدام هذه الفتاة المزرعة .

علا صوته قائلا :

ـ كلكم تتحدثون عن هذه الفتاة .. ولا يعرف أحدكم من تكون هذه الفتاة .

وضعت يدها حول خصرها قائلة :

ـ حسن .. أنا أريد أن أعرف من تكون هذه الفتاة .. وما الذى تعنيه بالنسبة لك .

ابتعد عنها قائلا :

ـ لقد أصبحت لا تطاقين .

تأملته بعينين دامعتين قائلة وهى تراه يبتعد :

ـ الآن أصبحت لا تطيقنى يا (محمود) ؟!
اندفع نحو (منى) وهو يراها تشرف علـى وضـع كميات الطعام الخاصة بالأبقار قائلا بانفعال :

ـ ماذا تفعلين هنا ؟

أجابته قائلة :

ـ إن هـذه الأبقـار لا تحصـل على كمية الطعـام الكافية .

علا صوته قائلا :

ـ ماذا تعنين ؟

ـ إن كلامى واضح .

ـ أتظنيـن أننى أستـولى على جزء من الأمـوال المخصصة لعلف الماشية .

ـ أنا لم أقل هذا .. ولكن .....

قاطعها قائلاً :

ـ ولكـن مـاذا ؟ لمـاذا لا تكفيـن عن التـدخل فى شئونى ؟

ـ إنها شئونى أيضًا .

ـ مكانك هناك فى مصنع الألبان .

ـ مكـانى يبدأ من هنا .. فإذا لم تحصل هذه الأبقار

على كمية الطعام الكافية .. فلن تدُر لى كميـة الألبان الكافية .. ووفقًا للمعدل المحدَد لها .

ـ إذن لماذا لا تشكيننى إلى الدكتور (فوزى) كما فعلت من قبل ؟

ـ أنا لا أريد أن أشكوك للدكتـور (فـوزى) ، ولـم يسبق لى أن شكوتك .. كـل مـا هنـالك أننـى أسـألك ، لماذا لا تحصل هذه الأبقـار على الكميـة الكافيـة مـن الأعلاف ؟ ولا أظن أن فى سؤالى هذا مـا يستوجب غضبك ؟

ـ لا يا آنسـة .. إن سـؤالك هذا ينطـوى على تشكيك فى ذمتى ، ويعنـى أننـى أطعم الأبقـار نصف كمية الأعلاف المقررة لها .

ـ أؤكد لك أن شيئًا من هذا لم يدر فـى تفكيرى .. ولا يمكن أن أشكك فى ذمتك ، لأننـى أعرفك جيدًا .. إن لك عيوبًا أخرى كثيرة ليس من بينها خيانة الثقة .

قال لها متبرمًا :

ـ أشكرك على كل حـال .. وإذا كنـت مصرَة على أن تعرفـى سبب نقص الأعلاف .. فهذا لأن المـورد الذى تعاقدنا معه .. لم يحضر كمية الأعلاف المطلوبة

حتى اليوم بالرغم من أنه كان يتعين عليه تسليمها منذ يومين .

وحينما حاولت الاتصال به ، تبين لى أنه يحاول مساومتنا بشأن الثمن .. مما اضطرنى للاتفاق مع مورد آخر غيره .. وذلك بمعرفة الدكتور (فوزى) .

وهذا المورد سيحضر كمية العلف المطلوبة صباح الغد ، مما دعانا لأن نكتفى بإطعام الأبقار بما لدينا من مخزون هنا بسبب ما حدث من تأخير . أظن أن هذا يوضح الأمر لك .

- أشكرك على أية حال .. ولو أنى لا أعتقد أن الأمور يمكن أن تستقيم بيننا هكذا ، فليس من المعقول أنه كلما طرحت عليك سؤالاً ، أو حاولت التفاهم معك بخصوص أمر ما ، أن يدور بيننا نقاش بهذه الحدة .

استدار ليواجهها .. ثم أمسك بساعديها فجأة محاولاً تقبيلها ، لكنها انتزعت نفسها منه بقوة قائلة :

- (محمود) .. هل جننت ؟ ما هذا الذى تفعله ؟

قال لها متهكمًا :

- إننى أحاول أن أجرب أسلوبًا آخر فى التعامل معك .

قالت له وفى عينيها نظرة احتقار :

- الآن أدركت مدى وضاعتك .. وتأكدت من أن كل ما قيل عنك أيام الكلية كان صحيحًا .

وانصرفت لتغادر المكان بعصبية .

بينما أحس (محمود) بالخجل من تصرفه للحظة .. وهم بأن يلحق بها .. لكنه تراجع عن ذلك .. وقد تنازعته مشاعر متضاربة .

★ ★ ★

استقبلتها زميلتها فى الاستراحة قائلة :

- ماذا بك ؟

قالت (منى) وهى تحاول إخفاء انفعالاتها :

- لا شىء .

- كيف ؟ إنك تبدين متوترة للغاية .

- أظن أننى لن أستطيع أن أستمر طويلاً فى العمل هنا .

- لماذا ؟ هل ضايقك أحد ؟

- إننى لا أشعر بالارتياح للعمل هنا .

- كيف تقولين ذلك ؟ وأين ذهب حماسك بشأن العمل فى المزرعة ؟

سمعتا صوتًا من خلال ظلام الشرفة يقول لهما :

ـ لماذا تلحين عليها يا (فاطمة) ؟ ما دامت لا تشعر بالارتياح للعمل هنا ، فلا داعى للإلحاح عليها للاستمرار .

واقتربت الفتاة منهما ، لتظهر ملامحها من خلال بصيص الضوء ، المنبعث من النافذة المطلة على الشرفة .

حيث صاحت (فاطمة) قائلة :

ـ (ناريمان) ؟!

واكتسى صوتها بنبرة غاضبة ، وهى تردف قائلة :

ـ هل كنت تتجسسين علينا ؟

ـ لقد كنت مسترخية قليلاً هنا .. وسمعت حديثكما بالصدفة .

ـ ولماذا لا تهتمين بشئونك دون التدخل فى شئون الآخرين ؟

ـ كيف تجرؤين على محادثتى بهذه الطريقة ؟

ـ وكيف تريدين منى أن أحدثك ؟ أم ظننت أن كونك ابنة أخ الدكتور (فوزى) سيعطيك الحق فى أن تتعالى علينا وتتدخلى فى شئوننا .

تدخلت (منى) قائلة :

ـ لا داعى لذلك .

قالت (فاطمة) :

ـ لا تتدخلى أنت ؛ فبيننا حساب قديم لا تعلمينه .

نظرت إليها (ناريمان) بتعال قائلة :

ـ بينى وبينك أنت ؟

ـ هل نسيت ؟ أم تريدين أن أذكرك ؟ لقد طلبت منك من قبل أن تمتنعى عن أى حديث معى .

قالت (ناريمان) بنبرة ساخرة :

ـ إننى أقدر حالتك يا عزيزتى .. ولو أن الذنب لم يكن ذنبى ، أن الشخص الذى أحببته اختارنى أنا ولم يخترك .

قالت (فاطمة) بانفعال :

ـ إن هذا الشخص الذى تتحدثين عنه ، لم يعد يعنينى فى شىء .. ويمكنك أن تشبعى به لو أردت .

ـ إذن ففيم انفعالك على هذا النحو ؟

ـ لأنك اتبعت أسلوبًا رخيصًا ، فى الوصول إلى هذا الشخص ، ولم تراعى حق الصداقة التى كانت بيننا .. فأخذت تعملين على إلقاء شباكك نحوه ، وأنت

تتظاهرين بالبراءة أمامى ، وبالرغم من معرفتك بحقيقة مشاعرى نحوه .

قالت (منى) وقد أحست بالحرج من الاستمرار فى سماع هذا الحديث ، وهى تتأهب للانصراف :

ـ عن إذنكما .. إننى سأدخل غرفتى كى أستريح .

لكن (ناريمان) استوقفتها قائلة :

ـ لماذا تنصرفين ؟ إن هذا الحديث يعنيك أيضًا .. وأظن أنه سيلقى منك بعض الاهتمام .

فالشخص الذى تتحدث عنه هو زميلك القديم (محمود) .

تسمرَت (منى) مكانها وهى تقول بصوت خافت :

ـ (محمود) !!

* * *



٩ ـ الصراع ..

قالت (منى) بصوت مرتجف :

ـ وما شأنى أنا بذلك ؟

قالت لها وهى ترمقها بنظرة فاحصة :

ـ كيف ؟ أليس (محمود) هذا هو زميلك السابق والحالى ؟

ـ إن زمالتى له لا تمتد إلى تلك الأمور الشخصية .

ـ كنت أظن أنكما مرتبطان بصلة حميمة .

قالت (منى) بانفعال :

ـ ماذا تعنين ؟

ـ لا شىء .. لكنى كنت أتصوَر أنه .....

قاطعتها (منى) بحدة قائلة :

ـ لا شأن لى بظنونك وتصوراتك .

قالت لها (ناريمان) بتحدٍ :

ـ إذن لماذا ترغبين فى ترك المزرعة ؟

ـ هذا أمر لا يعنيك .

- صدقت .. إن ما يعنينى هو أن تنفذى رغبتك هذه فورًا .. ومن الأفضل أن تنفذيها باختيارك بدلا من أن تجدى نفسك مضطرة لهذا ، ثم استدارت منصرفة .

بينما قالت (فاطمة) وهى ترمقها بنظرة كراهية :

- إنسانة مستفزة .

- مع أنى ظننت فى البداية أننا يمكن أن نكون أصدقاء .

- إياك أن تفكرى فى مصادقة هذه الفتاة .. فهى لا تفهم معنى الصداقة .

- ولكن قولى لى ، هل كنت مرتبطة بعلاقة عاطفية مع (محمود) ؟

قالت لها (فاطمة) بارتباك :

- كان هذا فى بداية عملى هنا .. لقد كان (محمود) محط إعجاب واهتمام الكثير من الفتيات .

وقد جعلت كل فتاة منه فارس أحلامها .

ولا أخفى عليك أننى حاولت إثارة اهتمامه بى .. وقد حدثت بيننا عدة لقاءات تخيلت من خلالها أنه قد أحبنى .

لكن تبين لى فيما بعد ، أننى كنت واهمة .. وأن هذا الحب لم يكن إلا من طرف واحد .

كانت (ناريمان) صديقتى فى هذه الفترة ، وكنت أبوح لها بكل مكنونات نفسى .. وأحدثها عن اللقاءات التى تمت بينى وبين (محمود) .

لكنها لم تحترم هذه الصداقة .. واتخذت منى وسيلة للتقارب مع (محمود) ، بدعوى أنها تحاول التقريب بيننا .

إلى أن نجحت فى جذب اهتمامه ، والاستحواذ عليه لنفسها ، بعد أن نجحت فى إفساد الصلة بيننا تمامًا بدعاوى كاذبة .

- والدكتور (فوزى) .. هل يعلم بهذا الأمر ؟

- لا أظن .. وإن كان الدكتور (فوزى) يعطى حريات واسعة لأبناء أخيه .. ويبدو أنه متأثر بأسلوب الحرية الشخصية الذى عايشه لفترة طويلة فى (أمريكا) .. ولا تعنيه كثيرًا مثل هذه الأمور .

قالت (منى) وهى شاردة :

- إذن .. فما زال (محمود) يمارس لعبته المفضلة .

سألتها (فاطمة) قائلة :

ـ ماذا تقولين ؟

ـ لا أظن أن شخصًا مثل (محمود) يمكن أن يحب أو يفتح قلبه لأى فتاة ، فهو يحب أن يظل دائمًا فتى أحلام كل فتاة ، ويجيد لعب دور الدون جوان .

ـ هذا ما تبين لى أنا الأخرى !

إنه لم يعد يعنينى فى شىء .. فالحب يعنى بالنسبة لى ارتباطًا وإخلاصًا وزواجًا وأشياء كثيرة لا أظن أن شخصًا مثل (محمود) يهتم بها .

ـ وما نوع الصلة بينكما الآن ؟

ـ صلة عمل .. والحق يقال ، أنه لم يحاول التمادى فى أى تصرف خارج صلة العمل ، بعد أن انتهت العلاقة العاطفية العابرة التى جمعت بيننا فيما قبل .

كما أنه بالرغم من كل عيوبه ، فهو شخص يجيد أداء عمله .. بل ويتفانى فى أدائه .

لكن .. ما الذى كانت تعنيه هذه الفتاة بوجود صلة حميمة بينكما ؟ هل هذا حقيقى ؟

ـ عن إذنك .. إننى متعبة وأريد أن أستريح .

ـ تفضلى .

اقتربت منها قبل أن تنصرف إلى غرفتها لتهمس لها قائلة :

ـ لو كان ما قالته صحيحًا .. فمن الأفضل أن تفعلى مثلى .. وتطردى (محمود) هذا من تفكيرك تمامًا .

إنك تعرفينه أكثر منى بدليل ما قلته لى منذ قليل .. لذا فلست بحاجة لكى أنبهك للاحتراس من هذا الشخص .

وهذا لا يعنى أن تهربى .. وتتركى المزرعة .

إننى أثق بأنك فتاة قوية .. وأنك لست بحاجة إلى الهرب ، فلا تحققى لهذه الفتاة مطلبها .. كما لا تهتمى بتهديداتها .. فهى جوفاء .

عليك أن تبقى وتثبتى وجودك لها وله .. وللجميع هنا .

لم تعقب منى بشىء .. بل اتجهت إلى غرفتها لتغلق الباب خلفها .

وبدلت ثيابها وهى ما زالت شاردة .. تفكر فيما قالته (ناريمان) و (فاطمة) عن (محمود) .

وتستعيد تلك الذكريات القديمة التى جمعتها به .. والقَدَر الذى عاد ليجمعهما من جديد .

وألقت بنفسها على الفراش ، وهى ما زالت غارقة فى أفكارها ، لقد أحبت (محمود) .. كان الشخص الوحيد فى حياتها ، الذى أحبته واستطاع أن يحرّك مشاعرها .

وقد أوهمها بحبه لها .. لكنها سرعان ما تبينت أنه كان يخدعها ، وأنه أراد أن يستغل جاذبيته وبراعته ، فى التلاعب بمشاعر الفتيات .. لكى يضمهن إلى قائمة علاقاته النسائية ، وعندما اكتشفت ذلك . اتخذت موقفًا قويًا تجاه نفسها وتجاهه ، وقررت أن تنتزع هذا الحب من قلبها تمامًا ، وأن تطرد (محمود درويش) من حياتها .

لقد تألمت كثيرًا فى البداية لإصرارها على تنفيذ هذا القرار .. لكنها قررت ألا تتراجع .. وألا تسمح لمشاعرها أن تضعفها .

وتسبب قرارها هذا فى غضب (محمود) غضبًا شديدًا .. فلم يسبق لأى فتاة عرفها ، أن تخلت هى عنه ، أو أبعدته عن حياتها .

لقد كان معتادًا على أن يتخذ هو هذا القرار ، فى الوقت الذى يشاؤه ، فقد تخلى عن الكثيرات من قبل ..

وحطَم قلوب فتيات أحببنه دون ذرة من الإحساس بالألم أو الندم .

أما أن تتركه فتاة ، أو تعلن له عدم رغبتها فى استمرار صلتها العاطفية به .. فهذا شىء لم يعتده .. ولم يكن ليقبله .

لذا كان غضبه منها شديدًا .

ولم يتقبل بسهولة أن تهجره ، بعد تأكدها من خداعه .. فقرر أن يحاربها فى المجال الذى تتفوق فيه ، وتثبت جدارتها دائمًا .

وهو مجال الدراسة فى الكلية .

ومن الغريب أنه نجح فى التفوق فى دراسته ، كما تفوق فى علاقاته الغرامية .

واستطاع أن يأتى فى المرتبة الأولى على مستوى الكلية فى السنة الثالثة ، وأن يجعلها تأتى فى الترتيب الثانى بعده .

لم يكن الأمر كما لو كان منافسة بين زميلين .. بل تحول كما لو كان تحديًا وثأرًا بينهما .

وبالفعل أصرت على ألا يتكرّر هذا مرة ثانية .. وضاعفت من جهدها بعد أن أصبح التفوق لا يمثل

بالنسبة لها وسيلة للنجاح .. بل أصبح تحديًا للشخص الذى أحبته .

والذى لم يكتف بالاستهانة بمشاعرها .. بل أراد أن يستهين بتفوقها الدراسى أيضًا .. وأن يثبت لها أنه يستطيع أن يتفوق عليها .

واستطاعت هى فى السنة التالية ، أن تأتى فى المرتبة الأولى كما اعتادت دائمًا ، وأن تتفوق بجدارة .

بينما تراجع هو ليأتى فى المرتبة الرابعة على مستوى الكلية .

لكن يبدو أنه لم يقبل تفوقها بجدارة ، على هذا النحو بسهولة .. برغم أنه كان هو الآخر من الأوائل على الكلية .

فقد زاده هذا كراهية لها .. وبدا كما لو كان شخصًا قد تلقى الهزيمة على يد منافسه ، ولم يتقبل ذلك بروح رياضية .

فقد رفضته (منى) عاطفيًا ، وتخلت عنه قبل أن يتخلى عنها .

ونجحت فى التفوق عليه وإبعاده عن المركز الأول ، الذى كان يطمح إليه ، لتثبت له أنها تستطيع أن تهزمه فى كل المجالات .

هكذا تصوّر .. وهكذا تحولت العلاقة بينهما .

كانت تظن أن الأمور قد انتهت بينهما عند هذا الحد .. وأن انتهاء سنوات الدراسة ستجعلها تنسى هذا التحدى ، للرجل الذى أحبته . وتعد هذه السنوات فترة منقضية فى حياتها .

لكن ها هى ذى الظروف قد جمعتها مرة أخرى بـ(محمود) .. وها هى ذى الآلام القديمة تعود لتتجدَد .

اعتدلت فى فراشها وقد تنازعتها الأفكار .

أتنجو بنفسها من هذا الصراع القديم ، الذى عاد ليتجدَد ؟

صراعها مع الرجل الذى أحبَته .. وصراعها مع قلبها ومشاعرها .

ذلك الصراع الذى ظنت أنه انقضى وولى .

أم تستجيب لما طلبته منها (فاطمة) ، وتتصدَى لـ (محمود) ولمشاعرها من جديد ؟

* * *



١٠ - لا تـــــــرحلى ..

جلست (منى) أمام المجهر تحلل عينة من ألبان المزرعة .

حينما دخل (محمود) إلى المعمل ، وهو يقدّم قدمًا ويؤخر أخرى .

كانت ملامح الخجل والارتباك واضحة على وجهه .. وبدا أنه يجاهد للتغلب عليها .

اقترب منها قائلاً :

ـ صباح الخير .

رفعت عينيها عن عدسة المجهر ، وقد فوجئت بوجوده .

حاولت التغلب على وقع المفاجأة ، وهى تنظر إليه بغضب قائلة :

ـ أنت ؟

ثم غادرت مقعدها ، وهى تدير له ظهرها قائلة :

ـ ماذا جئت تفعل هنا ؟

أجابها قائلاً بصوت متلعثم :

ـ جئت لأعتذر .. لقد تصرفت معك بالأمس بوقاحة .

ـ بل قل بمنتهى الوقاحة .

ـ ألا يكفيك أننى قد جئت لأعتذر عن تصرفى ؟

قالت له باستنكار :

ـ إن هذا أقل ما تفعله .. عليك أن تشكرنى ؛ لأننى لم أخبر الدكتور (فوزى) بما فعلته .

قال لها وقد تحول خجله وارتباكه إلى غضب :

ـ أتظنين أننى قد جئت أعتذر لك ، خوفًا من إطلاعك للدكتور (فوزى) على ما حدث ؟ إننى لست ممن يهابون التهديد .

قالت له بانفعال :

ـ كيف سولت لك نفسك .....

قاطعها قائلاً :

ـ لقد استفززتنى .. ولم تكن محاولتى لتقبيلك ، سوى رد فعل لهذا الاستفزاز .. إنها لم تكن على النحو الذى تتصورينه .

لا تدرى .. لماذا زادتها كلماته غضبًا ؟ وكأنها كانت ترجو أن تكون محاولة تقبيلها ، نتيجة اندفاع عاطفى ، بأكثر منه انفعال غاضب .

قالت له بغضب يمتزج بالسخرية :

- وهل هذا هو أسلوبك دائمًا مع من يستفزونك ؟

قال لها بنفس السخرية :

- كلا بالطبع .. ولكن بالنسبة لك ، أظن أننى كنت أحاول أن أعبر عن رغبة مكبوتة فى عقلى الباطن .

قالت له وقد زادتها كلماته عصبية :

- ماذا تعنى بذلك ؟

لكنه قال لها بنبرة أكثر تسامحًا هذه المرة ، دون أن يجيب عن سؤالها :

- (منى) .. لقد جئت لأعتذر لأننى أحسست بالندم ، على هذا التصرف غير اللائق .

فإذا كنت مستعدة لقبول اعتذارى ، إذن نكون قد سوينا الأمر ، وإذا لم تكونى مستعدة لذلك .. فأنت حرة ، وأنا فعلت ما يجب علىَّ أن أفعله .

والآن سأتركك لتواصلى عملك .. فلتأذنى لى .

ثم استدار لينصرف .

لكنها استوقفته قائلة بصوت عال :

- هل فكَّرت فيما قلته لك بالأمس ؟

التفت إليها قائلاً :

- ماذا تقصدين ؟

- أقصد تعايشنا معًا فى الظروف التى يقتضيها العمل هنا .

- أظن أننا قد تعايشنا معًا بالفعل ، فى ظل هذه الظروف ، خلال الفترة الماضية .

- كلا .. من الواضح أننا نختلف معًا فى كل الأمور هنا .. وهذا يرجع إلى أنك لا تتقبل وجودى .. ومشاركتى لك فى الإشراف على المزرعة .

- لقد تحادثنا فى هذا الشأن من قبل .

قالت له وهى تعقد ذراعيها أمام صدرها :

- نعم .. وأرى أننا لم نتوصل لشىء .. فمازلت ترى أن العمل الذى أسنده لى الدكتور (فوزى) ، يعدَ تدخلاً فى حقك بالانفراد فى الإشراف على المزرعة .

قال لها ببرود :

- هذا صحيح .

- حسن .. ولهذا فإننى قرَرت مغادرة المزرعة .

قال لها وقد فاجأه هذا القول :

- تغادرين المزرعة ؟!

- نعم .. أليس هذا هو ما تريده ؟

نظر إليها وقد بدا عاجزًا عن الرد ، فى حين أردفت هى قائلة :

- وبذلك تستطيع أن تنفرد بالإشراف على المزرعة .

- ولكن ...

- لا تخش شيئًا .. لن أخبر الدكتور (فوزى) أننى سأترك المزرعة من أجلك ، أو لعدم قدرتنا على التفاهم معًا .

بل سأخبره أن هذه هى رغبتى .

قال لها وهو يخفض بصره :

- لكننى لم أطلب منك أن تغادرى المزرعة .

قالت له بتهكم :

- كيف ؟ ألم يكن هذا هو مطلبك منذ أن جئت إلى هنا ؟

- لقد طلبت ألا تتدخلى فى عملى فقط ، وأن تقصرى عملك على مصنع الألبان .

- أنت تعرف أن المسئولية التى أوكلت إلىّ تتجاوز ذلك .. ثم إن العمل هنا فى المزرعة يحتاج إلى تنسيق وتكامل ، لا إلى صراعات ومنازعات عن دور كل منا هنا .

مشكلتك يا (محمود) ... أنك لم تتخلَّ بعد عن إحساسك بأننى أنافسك ، وأننى جئت إلى هنا للاستمرار فى هذه المنافسة .

إننى لم آت إلى هنا لأنافسك على المركز الأول .. بل للإسهام معك فى إنجاح العمل فى هذه المزرعة ، التى يمتلكها شخص أحببناه معًا ومازلنا نحبه ونحترمه ونقدره .

لكنك لا تريد أن تفهم ذلك .. وما زلت مصرًا على أن ندور معًا فى دائرة التحدّى التى فرضتها علينا .

وما دام الأمر كذلك ، فإننى مستعدة للانسحاب .. لأننى غير مستعدة لأن يكون صراعنا ، على حساب مصلحة الرجل الذى أحترمه وأقدره .

أحس بالخجل مما قالته . لكنه سرعان ما نفض

عنه هذا الإحساس ، وهو يستعيد ذكرياته القديمة معها . ولم يتمالك نفسه وهو يقول لها بانفعال :

ـ أنت التى فرضت علينا هذا التحدى .

قالت له باستنكار :

ـ أنا ؟!

ـ نعم .. وذلك حينما .....

وقبل أن يفرغ من جملته ، دخل أحد الأشخاص إلى المعمل قائلاً لها :

ـ هل انتهيت من تحليل العينة يا باشمهندسة ؟

ونظر إليها قائلاً :

ـ آسف .. هل قطعت عليكما الحديث ؟

قالت له (منى) سريعًا :

ـ كلا .. العينة سليمة .. ومن الممكن نقل الحليب إلى مصنع البسترة .

قال لها الرجل :

ـ حسن .. سأستدعى العمال لتولى الأمر .

قال له (محمود) :

ـ سأناديهم أنا .. وأشرف بنفسى على نقل الألبان .

وهمّ بمغادرة المعمل .

لكنه قبل أن يصل إلى الباب ، عاد ليقترب منها ، وهو يهمس لها قائلاً :

ـ لا تغادرى المزرعة .. أظن أننا نستطيع أن نتوصل لاتفاق معًا .

وجدت نفسها تبتسم للمرة الأولى ، وهى ترقبه فى أثناء انصرافه .

إنها المرة الأولى ، التى تشعر فيها بأنهما يستطيعان التفاهم معًا .. منذ سنوات بعيدة مضت .

كما أن مطالبته لها بألا تغادر المزرعة تعنى أنه يرغب فى بقائها ، وربما يعنى هذا أنه ما زال يحمل لها مشاعر طيبة .

واضطربت وقد أحست بخفقان قلبها ، وكأنه يعلن استيقاظه من سبات عميق .

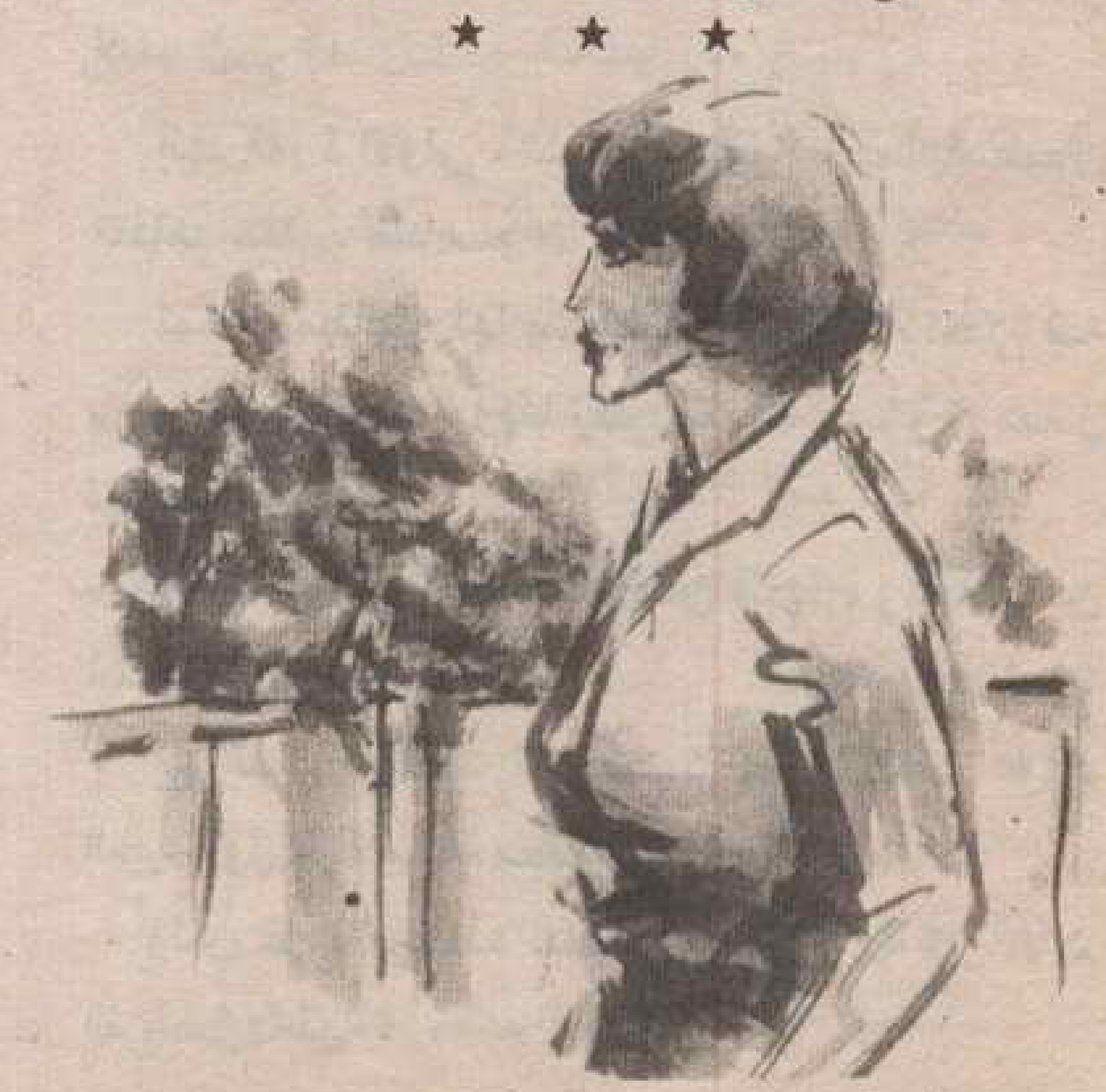
إنها نفس الخفقات التى أحست بها ، عندما عرفت الحب لأول مرة مع (محمود) .

ولكن هل تكفى هذه الخفقات ، لتغفر له كل الآلام التى سببها لها ؟

لقد أراد أن يتحدث مرة أخرى عن الماضى ، حينما حضر ذلك الرجل ، وربما كانت متشوقة لهذا الحديث برغم مرارته .

لكنها أحست فى هذه اللحظة ، بأنه من الأفضل ألا ينبش فى هذا الماضى مرة أخرى .. وأن يبقى كامنًا تحت السطح ، حتى لا تعاودها جراحه من جديد .

★ ★ ★



١١ - لماذا هجرتنى ..

ناداها (ياسر) قائلاً :

- (منى) .

توقفت لتحييه وقد اقترب منها قائلاً :

- لماذا لم أعد أراك خلال اليومين الماضيين ؟

أجابته قائلة :

- إن مسئوليات العمل تحول بينى وبين ذلك .

تأملها قائلاً :

- أنت تشبهين (محمود) .. وهو أيضًا يستغرق العمل كل وقته على نحو يحول دون لقائنا غالبًا .

ابتسمت قائلة :

- على أية حال .. أنت فنان .. وأظن أن العزلة أكثر فائدة لك ، إنها تمنحك الهدوء - الذى يحتاج إليه كل فنان - لممارسة هوايتك فى رسم اللوحات .

- هذا ما أردت محادثتك بشأنه .

- محادثتى بأى شأن .

- إننى أريد أن أرسم لك لوحة .

ضحكت قائلة :

- لى أنا ؟!

- ولِمَ لا ؟ هل سأجد أجمل من هذا الوجه لأرسمه ؟

- أشكرك على هذه المجاملة الرقيقة .. وعلى أية حال يمكنك أن ترسم ما تشاء .. فأنت حر فى ذلك .

- نعم .. لكن هذا يقتضى جلوسك أمامى لبعض الوقت ولعدة مرات .

قالت له وهى ترمقه بنظرة ماكرة :

- آه .. لكن مع الأسف إن وقتى لا يسمح بذلك .

- لا تقولى إنك تعملين طوال اليوم .. إن كل ما أحتاج إليه هو بضع ساعات ، تختارينها أنت بنفسك لرسم اللوحة .

- ألا يمكنك أن تفعل ذلك ، دون جلوسى أمامك ؟

- نعم .. لا بد من أن تجلسى أمامى لرسم اللوحة .

- على أية حال سأفكر فى ذلك .

وفى تلك اللحظة حضر (محمود) وبدا متجهمًا وهو يراهما يتحدثان معًا .

ناداه (ياسر) قائلاً :

- (محمود) .. تعال .. لماذا تبدو متجهمًا هكذا ؟

قال له (محمود) وهو يحادثه ببرود :

- لا شىء .

ثم وجه حديثه إلى (منى) قائلاً :

- إننا سنضطر لتخفيض كمية الألبان التى يتم حلبها ، وتقديمها لمصنع البسترة اليوم ولمدة أسبوع .

سألته قائلة :

- لماذا ؟

- إنه موعد الكشف الدورى البيطرى على الأبقار .

وهذا يعنى تقسيم الأبقار الموجودة فى المزرعة إلى ثلاث مجموعات ، ويتم فحص كل مجموعة منها على حدة .. بوساطة الأطباء البيطريين ، خلال يومين أو ثلاثة ، فيما يشبه الحجر الصحى .

- كان يتعين عليك أن تعلننى بذلك من قبل .

- لم تتح لى الفرصة لذلك .

- على أية حال سآتى معك لإصدار تعليماتى إلى العاملين فى المصنع بهذا الشأن .

لكنه نظر إلى (ياسر) شذرًا وهو يقول :

- تستطيعين أن تبقى أنت هنا لو أردت ، وأنوب أنا عنك فى ذلك .

لكنها قالت له وهى تستعد لمرافقته :

ـ كلا .. أفضل أن أفعل ذلك بنفسى .

قال لها (ياسر) قبل أن تنصرف :

ـ لا تنسى اتفاقنا معًا .

ابتسمت قائلة :

ـ إننا لم نتفق على شىء بعد .. لقد قلت لك إننى سأفكر .

سارت بجواره وهما متجهان إلى المصنع . حينما سألها قائلاً :

ـ ترى أى اتفاق عقدتماه معًا ؟

نظرت إليه بدهشة للحظة ، وقد فاجأها بهذا السؤال الفضولى ، لكنها أجابته بلا مبالاة قائلة :

ـ إنه يريد أن يرسم لى لوحة زيتية .

ـ آه .. إن هذا الأمر يحتاج إلى جلوسك معه ساعتين على الأقل لبضعة أيام .

ـ إننى لم أوافق على ذلك بعد .

ـ ولِمَ لا ؟ إن لك وجهًا جميلاً .

نظرت إليه بطرف عينها وهى تتساءل بينها وبين نفسها .

أهذا رأيه فيها بالفعل ؟ أم أنه نوع من التهكم ؟

حاولت تغيير الموضوع قائلة :

ـ لقد سألنى الدكتور (فوزى) ، عن كميات البيض ، التى تم إنتاجها من الحضانة خلال الأسبوع الماضى . وفى الحقيقة لم أستطع أن أجيبه .. لأنه ليست لدى فكرة واضحة عن ذلك . كما أنك لم تطلعنى على الإنتاج الأسبوعى للبيض ، لذا أخبرته بأنك تستطيع أن تجيبه عن ذلك أفضل منى .

سألها (محمود) فجأة ، كما لو كان لم يسمع ما قالته :

ـ لماذا لم تتزوجى حتى الآن ؟

قالت له بدهشة :

ـ ماذا ؟

قال لها بجرأة :

ـ إننى أسأل ، لماذا لم تتزوج فتاة جميلة مثلك حتى الآن ؟

قالت لها وهى تخفى ارتباكها :

ـ لم يأت النصيب بعد .

واستطردت قائلة بعد برهة من الصمت :

- أظن أننى أستطيع أن أسألك نفس السؤال .
أجابها قائلا وهو ينظر أمامه :
- لأننى لم أجد الفتاة التى تستحق أن تحوز ثقتى بعد .
قالت له وقد أغضبتها إجابته :
- ربما كان العيب فى الفتيات اللاتى تعرفهن .
قال لها بنبرة مستفزة :
- أظن أنك كنت إحدى هؤلاء الفتيات ذات يوم .
توقفت عن السير قائلة :
- لم أكن قد تبينت بعد حقيقتك .. وحينما علمت من تكون رفضت أن أكون إحدى أولئك الفتيات .. وأظن أنك تعلم ذلك جيدًا .
- كل ما أعلمه هو أنك قد خنت حبى لك .
- أنت آخر شخص يتحدَث عن الحب .
قال لها بانفعال :
- لقد كان حبى لك حقيقيًا وصادقًا .
نظرت إليه بجمود قائلة :
- كم فتاة قلت لها هذا ؟
لكنه تجاهل سؤالها قائلا :

- لماذا هجرتنى ؟ إننى لم أرتكب خطأ واحدًا فى حقك .
- بل كنت تخدعنى طوال الوقت .
لقد استغللت عاطفتى الساذجة وقتها ، ومشاعرى البريئة ، لكى تغرر بى وتوهمنى بحبك .
ظننت أننى يمكن أن أكون مثل (هيام) أو (نهى) أو (صفاء) وكل أولئك اللاتى عبثت بمشاعرهن ، ثم تخليت عنهن .. بعد أن سئمت منهن .
- لم يكن بينى وبين أى منهن عاطفة حقيقية ومتبادلة .. كان الأمر مجرَد لهو وعبث وشقاوة صبيانية . أما بالنسبة لك ، فقد كان الأمر مختلفًا .. لقد أحببتك بصدق ، وتمنيت أن تكونى لى من بين كل الفتيات اللاتى عرفتهن .
لكنك أبعدتنى عنك بقسوة .. وبدون أى جرم ارتكبته .
- حقًا ؟ وماذا عن علاقتك بـ (صفاء) ؟
- إنك لم تمنحينى أى فرصة للدفاع عن نفسى .
- وماذا كنت ستقول ؟ أكذوبة جديدة من الأكاذيب التى تجيد حبكها ؟

- كان ذلك منتهى القسوة من جانبك .. وقد قابلت مشاعرى نحوك بجمود ومهانة ، لم أعتدهما من أى مخلوق .

- كان هذا هو ما تستحقه تمامًا وقتها .

إن ما أغضبك فى الأمر ، هو أننى أنهيت هذه العلاقة بإرادتى وباختيارى ، دون أن يأتى هذا الاختيار من جانبك .

فأنت لم تعتد أن تتركك فتاة عرفتها .. بل اعتدت أن تتركها أنت ، محققًا انتصارًا آخر فى سجل انتصاراتك العاطفية ، على حساب مشاعر الآخرين .

- لقد ظلمتنى يا (منى) .. فأنا لم أكن بكل هذا السوء الذى رسمته لى .

وحتى لو كنت كذلك .. فقد كان الأمر مختلفًا بالنسبة لك .

كان حبى لك صادقًا ومخلصًا . كنت فى طريقى لكى أصلح كل مساوئى ، وأتطهر من كل خطاياى بسبب هذا الحب . لكنك أطحت بكل ذلك ، وسددت أذنيك عن كل توسلاتى ، ورفضت أن تمدى يدك لى .. وأنت تصرين على قطع كل الصلات بيننا .

- كفاك خداعًا وتمثيلاً ، فشخص مثلك لا يمكن أن ينصلح أمره .

والدليل على ذلك ، أنك ما زلت تمثل نفس الدور هنا ، مثلته على (فاطمة) و (ناريمان) ابنة أخ الرجل الذى منحك ثقته ، وآمنك على مزرعته .. فلم تكن أمينًا على ابنة أخيه .

انفعل قائلا :

- إننى لم أسع وراء أى منهما .. كما أن الأمور بيننا لم تصل إلى هذا القدر ، الذى يمكن أن يصوره لك خيالك .

- مبرر سخيف .

قال لها وهو يواجهها بغضب :

- وبماذا يمكنك أن تبررى علاقتك بـ (ياسر) ؟

* * *



١٢ - مشـــاعرى الخفيـــة ..

انفعلت قائلاً :

- ما الذى تحاول أن تلمح إليه ؟

إننى أرى أن هناك إعجابًا متبادلاً بينكما .

- هذا ليس من شأنك .

- (منى) إذا كنت قد أخطـــأت فى حقــك فى الماضى .. فأنت أيضًا أخطأت فى حقى كثيرًا .

- دعنا من الماضى .. فقد ولى وانتهى .

- ربما بالنسبة لك .. أما بالنسبة لى ، فلم ينتـه أبدًا . لقد حولَت الأمر بينى وبينك إلـى صـراع .. وحاولت دائمًا أن أثبت لـك ، أننـى أستطيع أن أكون الأفضل ، حتى فى المجال الذى تتفوقين فيه .

- أنت الذى حولت الأمر بيننا إلى ذلك .. فقد اعتبرتُ الأمر بيننا منتهيًا عندما قطعت صلتى بك .

- لكنك ظننت أنك تستطيع إغاظتى ، لو تفوقت علىَ دراسيًا .. وحولت الأمر إلى منافسة وصراع كما تقول ،

وليس إصرارًا على النجاح والتفوق ، حبًا فى الدراسة ورغبة فى النجاح .

- لقد أردت أن أثبت لك ، أننى أستطيع أن أكون شابًا جادًا وناجحًا ، وأننى لست مجرَد شاب عابث وفاشل كما اتهمتنى .

- على أية حال ، لا تستطيع أن تنكر أن ذلك قد أفادك .. ولو أن نجاحك وتفوقك ، لـم يمنعـك مـن الاستمرار فى العبث واللهو بمشاعر الأخريات . وهذه ظاهرة تستحق الدراسة .

- كنت أحاول أن أنساك .

إن تفوقى لم يقربنى منك ، بل ساعد على اتساع الهوة بيننا ، بعد أن تحوَل الأمر بيننا إلى منافسة . لكننى لم أنس مطلقًا أنك الفتاة الوحيدة التى أحببتهـا ، لذا حاولت أن أنساك بأية وسيلة : تارة بـالإغراق فى المذاكرة .. وتارة أخرى بتلك العلاقات التى تتحدثين عنها . لكن كل ذلك لم يفلح فى أن يجعلنى أنساك .

- لا تنتظر منى أن أصدق ذلك .

- إننى أعلم أننى أقول هذا بعد فوات الأوان . أنـا نفسى لم أعد أشعر بصدق عاطفتى نحوك ، بعد أن

[م ٨ - زهور (٧٠) كفانا عنادًا]

امتزجت بالمرارة طوال السنوات الماضية .

حتى إن الأمور اختلطت بالنسبة لى .. وأصبح حبى لك مشوبًا بقدر من الكراهية ، أفسد القيمة الحقيقية لهذه العاطفة ، فأصبحت كالماء العذب الذى اختلط به العديد من الشوائب ، فلم يعد صالحًا للشرب ، وربما لهذا لم أسترح لوجودك هنا .. وأردت إبعادك عن المزرعة .

ـ مازلت مستعدة للرحيل ، لو كان هذا سيسبب لك أية مضايقة .

ـ من الغريب أن هذا الجزء فى نفسى الذى يحبك ، استيقظ من سباته ولا يرغب فى أن يراك ترحلين .

قالت له بجمود :

ـ لقد وصلنا إلى المصنع .

ـ حسن .. سأتركك لعملك .

وانصرف ، بينما تظاهرت هى بأنها فى طريقها إلى المصنع .. لكنها وقفت لترقبه .. قائلة لنفسها :

ـ لو تعلم أنك الشخص الوحيد الذى أحببته .. وأننى برغم كل محاولاتى لم أستطع أن أتغلب على هذا الحب !

لكن كما قلت فإن هذا الحب أصبح مختلطًا بالعديد من الشوائب التى أفسدته .

★ ★ ★

استقبله الدكتور (فوزى) قائلا :

ـ (محمود) أين كنت ؟ لقد بحثت عنك فلم أجدك .

ـ كنت أشترى بعض لوازم المزرعة .

قال الدكتور (فوزى) وهو يشير إلى (منى) التى كانت قادمة نحوهما :

ـ على أية حال .. لقد جئت فى الوقت المناسب .. فقد أرسلت فى طلب (منى) أيضًا ؛ لأننى أردت التحدث إليكما .. وها هى ذى قادمة إلى هنا .

قالت (منى) :

ـ هل أرسلت فى طلبى يا دكتور (فوزى) ؟

ـ نعم .. دعونا نجلس تحت هذه المظلة .

وجلس الثلاثة تحت المظلة الموجودة فى أحد أركان حديقة الفيلا . حيث أحضر لهم الخادم الشاى .. وتحدث إليهما الدكتور (فوزى) قائلاً :

ـ إننى ألحظ بإعجاب أن هناك تقدمًا فى العلاقة

بينكمـا .. وأنكما قد أصبحتما متفاهمين ، بشأن تنظيم العمل فى المزرعة فيما بينكمـا ، وقد انعكست آثار ذلك على مستوى الإنتـاج المرتفـع ، والتقدم المطرد للمزرعة .. وهذا يدل على أن التفاهم والتعاون هو السبيل الحقيقـى للنجاح ؛ لـذا أردت أن أهنئكمـا على ذلك أولاً .

ثانيًا ـ أردت أن أعرض عليكما أمرًا .

سأله (محمود) قائلا :

ـ وما هو يا دكتور ؟

ـ إننى سأتوقف عن دفع رواتب لكمـا اعتبارًا من الشهر القادم .

نظرا إليه بدهشة :

ـ بينما استطرد قائلاً :

ـ أنتما تعرفان مقدار إعزازى لكما ، وأننى أعدكما بمثابة ابنين لى ، وقـد رأيت خـلال الفترة الماضيـة ، مدى الجهد الذى تبذلانه فى العمل هنا .

ورأيت مدى إخلاصكما لى .. وأنكما تعتـبران هذه المزرعة مزرعتكما .

وأنا أريد أن أحول هذا الأمر إلى حقيقة .. كمـا لا أريد لأحدكما أن يغـادر هذه المزرعة فى يوم من الأيام .

لـذا فكّرت فـى ألا أعاملكمـا كـأجيرين لـى .. بـل كشريكين لى فى المزرعة .

هتف (محمود) قائلا :

ـ شريكين ؟

ـ نعم .. سيكون كل منكمـا شريكًـا لـى بنسبـة خمسة عشر فى المائـة من أرباح المزرعـة ، مقابل جهدكما وعملكما هنا .

وأظـن أن هـذا أفضـل بكثير ، مـن الحصـول علـى راتب شهرى .

قالت له (منى) بارتباك :

ـ لكن يا دكتور (فوزى) إن هذا كثير .

ـ بالعكس .. إن هـذا يـوازى جهدكمـا وإخلاصكمـا فى العمل معى هنا ، ويجعلكما أكثر ارتباطًا بالمزرعة .. كما أنـه يخفف العبء عنى قليلاً باعتباركما شريكين لى .

ـ لكننا لم نفعل شيئًا يستحق ذلك .. لقد كنا نؤدى العمل المنوط بنا فقط .

ـ إن الأمر لا يتعلق بالعمل وحده .. لقد وجدت أننى مرتبط بكما عاطفيًا لذا أردت أن ترتبطا معى بهذه المزرعة ارتباطًا أبديًا .

وهذا ما دفعنى إلى التفكير فى أن تكونا شريكين لى ، ولا تظنا أن الارتباط العاطفى وحده ، هو الذى دفعنى لذلك .

لقد فكَرت فى الأمر كثيرًا .. ووجدت أن هذا لصالح الجميع .

قال (محمود) :

ـ لا أدرى ماذا أقول لك يا دكتور (فوزى) ؟ ولكن ...

قاطعه قائلا :

ـ لا تقل شيئًا .. سنسجل هذه المشاركة خلال الأسبوع القادم ، حتى يكون الأمر رسميًا .. وتصبحا شريكين فعليين فى المزرعة .

صافحاه وهما يشكرانه بامتنان حقيقى .

لكن قبل أن ينصرف (محمود) استوقفه الدكتور (فوزى) قائلا :

ـ انتظر يا (محمود) أريد أن أتحدَث معك قليلاً .

استأذنت (منى) فى الانصراف فى حين بقى (محمود) .

وتظاهر الدكتور (فوزى) بأنه يصب لنفسه المزيد من الشاى قائلا :

ـ أما زالت تلتقى بـ (ناريمان) ؟

ارتبك (محمود) وقد فوجئ بهذا السؤال من الدكتور (فوزى) .. فقال له متلعثما :

ـ (ناريمان) .. إننى .. أعنى .. إننا نلتقى أحيانًا .

نظر إليه الدكتور (فوزى) قائلا :

ـ لماذا لا تكون صريحًا معى ؟ أتظن أننى لم أكن أعرف بتلك اللقاءات التى تتم بينكما ؟

إن لى عينين أرى بهما .. كما أن (ناريمان) لم تكن تخفى عنى شيئًا ، وأعرف أنها تحمل لك قدرًا من العاطفة .

ـ أؤكد لك يا دكتور (فوزى) ، أن الأمور بيننا

لم تصل إلى الحد الذى يمكن أن يسىء إليك .

- أعرف ذلك .. إننى أثق بك ، كما أثق بـ (ناريمان) .. وأنا لست رجلاً رجعيًا أو منغلقًا .. بل أنت تعرف جيدًا أننى شخص متفتح للغاية ، وما دامت الأمور فى نطاقها الصحيح .. فلا اعتراض لى على الأمر .

ولكنى أنتظر أن أسمع كلمتك .

- كلمتى بشأن ماذا ؟

- ماذا بعد هذه اللقاءات يا (محمود) ؟ لقد أخبرتك بما تكنه لك (ناريمان) من مشاعر .. لكنك لم تخبرنى بعد عن حقيقة مشاعرك نحوها .

قال له (محمود) وقد ازداد ارتباكًا :

- إن ما أحمله تجاه (ناريمان) لا يتعدى مشاعر الوُد والصداقة .

ربما فى فترة ما .. أحسست بأن مشاعرى تتجاوز ذلك .. لكن هذا لم يكن صحيحًا .. وعندما أدركت أن (ناريمان) تحمل لى ما هو أكثر من هذه المشاعر ، التى حدثتك عنها .. حاولت أن أبتعد أو أصحح مفهوم

الصلة بيننا .. لكن يبدو أنها لم تكن مستعدة لتقبل ذلك .

- ربما يكون الأمر بحاجة إلى إعادة تفكير من جانبك .. فعما قريب ستصبح شريكًا فى المزرعة .

كما أن (ناريمان) و (ياسر) سيصبحان وريثَىَ الوحيدين بعد موتى .. لأننى كما تعرف ، لم أتزوج ، وليس لى أبناء .. ولا أفكر فى ذلك . فإذا تزوجت من (ناريمان) فإنك ستحصل على نصيب كبير من المزرعة ، يؤمِّن حياتك ومستقبلك . وأنت - كما أعرف - شابٌ طموحٌ .. كما أنك شديد التعلق بهذه المزرعة كما أرى .

قال له (محمود) بلهجة قاطعة :

- لا يا دكتور (فوزى) .. إننى لا أفكر بهذه الطريقة التى تظننى أسير عليها .. قد أكون طموحًا .. ولكن ليس على حساب نفسى ، وحساب مشاعرى ومشاعر الآخرين .

- هذا يختلف عما سمعته عنك أيام الكلية .

- لقد ظُلمت كثيرًا فيما قيل عنى أيام الكلية .. إننى لا أنكر أننى عرفت الكثيرات ، وأقمت الكثير من

العلاقات العاطفية ، لكننى لم أسع وراء أى ممن عرفتهن ..
كما أننى أوضحت حقيقة صلتى ، بكل من ارتبطت بهن
منذ البداية .. ولم أحاول أن أخدع أية فتاة عرفتها
باسم الحب .. ولا شأن لى إذا كن قد تصورن ، أنهن
يستطعن الحصول منى على أكثر مما أوضحته .

كما أنه لا شأن لى إذا كن قد روجن عنى
الشائعات ، بسبب ذلك .

الدكتور (فوزى) :

- صدقنى يا (محمود) .. هذا ما كنت أعرفه
عنك .. وما أثق به ، وإلا ما كنت قد أبديت ترحيبى
بزواجك من ابنة أخى .

- إننى أشكرك على ثقتك بى يا دكتور (فوزى) .

- وأنا أشكرك على صراحتك معى .

- آسف إذا كانت صراحتى هذه ، قد سببت لك
شيئًا من الحرج أو الضيق :

- بالعكس .. فربما لو قلت غير ذلك ، لاهتزت
صورتك بالنسبة لى .. خاصة بعد أن وضعت أمامك
هذا الإغراء المادى المتعلق بالمزرعة .

- والآن هل تسمح لى بالانصراف ؟

- قبل أن تنصرف .. أريد أن أسألك سؤالاً .

- تفضل .

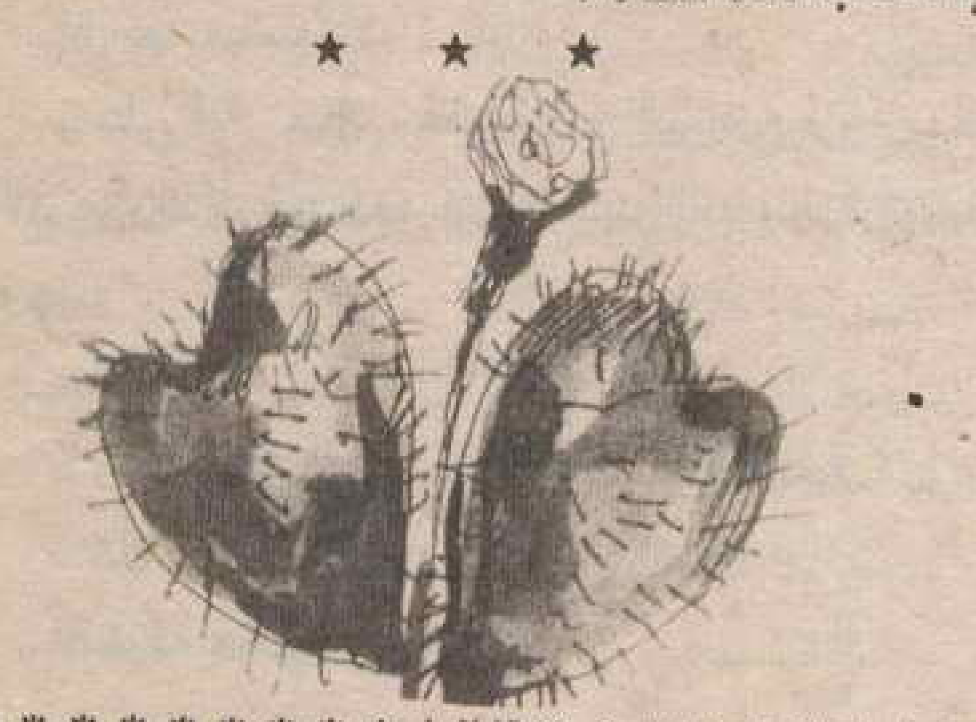
- لقد أوضحت حقيقة مشاعرك بشأن (ناريمان) ..
فهل هذه هى نفس المشاعر التى تحملها تجاه (منى) ؟

تسمرَ (محمود) فى مكانه ، وقد أربكه السؤال ..
فلم يدر بمَ يجيب .

نظرَ إليه الدكتور (فوزى) ، وعلى وجهه
ابتسامة ودود قائلاً :

- لست بحاجة للإجابة عن سؤالى .. فالأمر واضح ..
إنك تحب هذه الفتاة .

★ ★ ★



١٢ - جسر الحب ..

وقف (ياسر) أمام اللوحة الموضوعة أمامه ، وهو يرسم بريشته الملامح الرئيسية ، لوجه (منى) التى كانت جالسة أمامه .

قالت له :

- عليك أن تتصرف بمفردك فيما بعد ، بشأن هذه اللوحة .. فليس لدى الوقت الكافى ، لكى أظل جالسة أمامك هكذا دون حراك .

قال لها مبتسمًا :

- على أية حال ، أظن أننى أستطيع أن أرسمك الآن من الذاكرة ، بعد أن اكتملت الخطوط الرئيسية لوجهك .

سألته قائلة :

- وهل ستهدى إلىَّ هذه اللوحة فى النهاية ؟

- كلا .

قالت له معاتبة :

- لا تقل لى إنك ستحتفظ بها .

قال لها بلهجة جادة :

- ولا هذه أيضًا .

- إذن ماذا ستفعل بها ؟

- سأهديها للرجل الذى يحبك .

قالت له وهى تحدجه بنظرة ماكرة :

- ومن هو ذلك الرجل الذى يحبنى ؟ أظن أنك ستقول لى إنه أنت .

- هذه حقيقة لا يمكن إنكارها .. ولكن مع الأسف أننى أعرف جيدًا ، أنه حب من طرف واحد ، لذا فإننى سأهدى هذه اللوحة ، للشخص الذى يحبك وتحبينه .

نظرت إليه بدهشة قائلة :

- الذى أحبه ويحبنى !! ومن يكون هذا الشخص ؟

نظر إليها قائلا :

- أحقًا لا تعرفينه ؟ أم أنك مصرة على إخفاء حقيقة مشاعرك ؟

- إننى لا أفهم ما الذى تعنيه بذلك ؟

- إنه الشخص الذى تحاولين تجاهل حبك له ..

برغم أنه واضح في كل تصرفاتك نحوه ، ونظراتك إليه .

لماذا لا تعترفين بأنك تحبين (محمود) ؟

قالت له باضطراب :

- (محمود) ؟

- نعم .. أتظنين أنني لم ألحظ ذلك ؟

- لا أدرى كيف صور لك تفكيرك هذا ؟ إن ما بيني وبين (محمود) .....

قاطعها قائلا بحزم :

- حب .. وهذا واضح على وجه كل منكما ، وواضح في نظرات الغيرة التي يصوبها إلينا ، كلما وجدنا جالسين معًا .

- الغيرة !

- نعم .. لا تقولي إنك لم تلحظي ذلك .. أم أنك تحاولين تجاهله ؟

حضر الدكتور (فوزى) في هذه اللحظة ، وقد استمع إلى جزء من الحديث ، فنظر إليهما قائلا :

- إنني متفق مع (ياسر) فيما قاله .

ارتبكت لدى رؤيتها للدكتور (فوزى) قائلة :

- دكتور (فوزى) .. إنني .. إنني ...

- إنك تحبين (محمود) يا (منى) .. وهو أيضًا يحبك ، لكنّ كلا منكما يعاند قلبه ، ويأبى أن يغفر للآخر .

صدقيني يا بنيتي ، إن السنوات التي يمكن أن نسعد بها في ظل حب كهذا ، قليلة في حياتنا .. وكلما أضعنا المزيد من هذه السنوات ، كلما ندمنا عليها فيما بعد .. فكفى عنادًا لقلبك .

- إنني لا أستطيع أن أثق بشخص مثل (محمود) مرة أخرى .. أنت لا تعرف يا دكتور (فوزى) .

قاطعها قائلا :

- بل أعرف .. أعرف كل شيء .

أنصتي إليّ يا بنيتي .. أتدرين لِمَ لَمْ أتزوج حتى الآن ؟

لقد أحببت ذات يوم فتاة مثلك .. وكانت هذه الفتاة هي كل حياتي .

لكني ظننت فيها الظنون ، لأنني رأيتها ذات يوم مع أحد الأشخاص في منزله .

لم أمنحها الفرصة للدفاع عن نفسها .. وقررت أن أبتعد عنها نهائيًا .

بل وأرحل عن مصر كلها ، وأنا لا أرى فيها سوى إنسانة خائنة ، أرسلت لى رسالتين مزقتهما دون أن أطلع عليهما ، وصممت على أن أنتزع هذه الفتاة وذكراها من حياتى إلى الأبد .

ثم تبين لى فيما بعد أن هذا الشخص ، الذى كانت بصحبته هو أخوها . وأن ما دفعها إلى إخفاء الأمر فى البداية .. أنه كان هاربًا من السجن ، وأنها كانت تحاول إقناعه بتسليم نفسه للسلطات ، قبل أن يقبض عليه .. وهو ما دفعها إلى عدم الاعتراف بالحقيقة ، حينما فاجأتهما معًا .

حاولت أن توضح لى ذلك فى الرسالتين اللتين أرسلتهما ، ومنعنى كبريائى وعنادى من أن أطلع عليهما .

وظللت أظن فيها السوء .. برغم ما كانت تحمله لى من حب يفوق الوصف .

وعندما يئست من استعادة حبى لها .. وأننى ما زلت أراها إنسانة خائنة لا تستحق الثقة .. انتحرت .

تطلعت إليه (منى) بدهشة قائلة :

- انتحرت ؟!

تنهد الدكتور (فوزى) قائلا :

- نعم انتحرت .. وتركت لى رسالة أخيرة ، توضح لى فيها كل شىء ، وتخبرنى بأنها لم تحب فى حياتها أحدًا سواى .. وأن الحياة قد فقدت قيمتها ومعناها ، بعد أن تخليت عن حبها .. وبعد أن أصبحت أراها فى هذه الصورة المهينة الزائفة ، التى أبى عنادى إلا أن أراها عليها .

انحدرت عبرة على وجنته وهو يستكمل حديثه قائلاً :

- كانت الصدمة قوية بالنسبة لى .. وعرفت بأننى بغبائى وعنادى وقسوتى ، تسببت فى موت الفتاة التى أحببتها ، وظلمتها ظلمًا فادحًا .

بكيت طويلاً ، وتألمت كثيرًا ، ولم أغفر لنفسى ما فعلته فى حقها أبدًا ، لذا صممت على ألا أتزوج من أى فتاة أخرى بعدها ، وأن أعيش ما بقى لى من العمر مع ذكراها .. وذكرى الحب الذى أضعته بقسوتى وعنادى .

انهمرت الدموع من عينى (منى) وهى تستمع إلى هذه القصة ، بينما قال (ياسر) لعمه متأثرًا :

ـ إذن .. فهذا هو السبب الحقيقى ، وراء عدم زواجك حتى الآن ؟!

نظر الدكتور (فوزى) إلى (منى) قائلا :

ـ إننى لم أطلع أحدًا على هذا السر من قبل .. لكنى أردت أن أوضح لك إلى أى مدى يمكن أن يتسبب الخطأ والعناد ، فى إفساد المشاعر الصادقة والسامية .

إذا كنت تحبين (محمود) ، وما دمت لم تحبى أحدًا سواه ، فلا داعى لمقاومة أحاسيسك ومشاعرك . وحتى إذا كان قد ارتكب أخطاء فى الماضى .. فعليك أن تسامحيه وتغفرى له ؛ وتفتحى معه صفحة جديدة .. وأنا واثق بأنه مستعد هو الآخر لفتح هذه الصفحة معك .. لأنه يحبك ، وإن كان يكابر بدوره .

ـ ولكن كيف يمكن لكل منا أن يثق بالآخر ، بعد أن فقدنا هذه الثقة ؟

ـ بأن يمنح كل منكما الآخر ثقته من جديد .. وأن يمد كل منكما يده للآخر .

صاح (ياسر) قائلا :

ـ والآن ماذا تنتظرين ؟ لماذا لا تبحثين عنه ، وتخبرينه بحقيقة مشاعرك ؟

ازدردت لعابها وهى تقول :

ـ أنا .

قال د. (فوزى) :

ـ أنت أو هو لا يهم .. المهم ألا تضيعا المزيد من الوقت ، وكفاكما ما أضعتماه .. إننى أرغب فى أن أرى ابنى وابنتى ، وشريكىَ فى المزرعة زوجين عما قريب .

عاد (ياسر) ليصيح :

ـ لماذا تقفين هكذا ؟ هيا اذهبى إليه .. وأخبريه أننى سأهديكما هذه اللوحة ليلة زفافكما .

تَردَدت (منى) قليلاً .. ثم ما لبثت أن تحركت ، وقد شيعها الدكتور (فوزى) و (ياسر) بابتسامة حانية ومشجعة .

طرقت (منى) باب حجرته .. فناداها من الداخل قائلا :

ـ ادخل .

فوجىء برؤيتها أمامه ، فنظر إليها قائلا :

ـ أنت ؟! ما الذى جاء بك إلى هنا ؟

قالت له بارتباك :

- لقد سألت عنك ، فأخبرونى بأنك فى غرفتك .
نظرت إلى الحقيبة الكبيرة الموضوعة فوق فراشه ، وقد أخذ يرتب فيها ثيابه قائلة :
- ما هذا ؟
- قال لها وهو مستمر فى ترتيب ثيابه ، دون أن يوليها اهتمامًا :
- إننى سأحصل على إجازة من العمل فى المزرعة .
قالت له بدهشة :
- إجازة ؟! لكنك لم تخبرنى بذلك .. كما لم يخبرنى به الدكتور (فوزى) .
نظر إليها للحظة قائلاً ، قبل أن يعاود ترتيب ثيابه :
- وهل من المفترض أن أخبرك ؟
- بالطبع حتى أستطيع تدبير أمرى ، ما دمنا شركاء فى المسئولية هنا .
قال لها وهو يغلق حقيبته :
- إننى واثق بأنك تستطيعين تدبير أمرك جيدًا .
- ما هى فترة الإجازة التى ستأخذها ؟
قال لها :
- بضعة أيام .

قالت له باستغراب :
- وهل يستلزم ذلك منك أن تأخذ كل ثيابك هكذا ؟
قال لها :
- هذا شأنى وحدى .
وتوقف عن الحركة قليلاً وهو يقول لها :
- إنك لم تخبرينى بعد .. ما الذى أتى بك إلى غرفتى ؟
قالت له وهى تحاول أن تصطنع حجة ما :
- هناك بعض الأمور الملحة التى يتعين مناقشتها بشأن المزرعة .
- ألم يكن من الممكن مناقشة هذه الأمور فيما بعد ؟
- فى الحقيقة .. لقد حاولت اختصار الوقت .
قال لها ساخرًا :
- ألم تخافى من أن تمسك الأقاويل ، لو رآك أحد وأنت تأتين إلى غرفتى ؟
أو تخافى منى أن أمسك بسوء .. خاصة مع ما أنا معروف به من سوء خلق .
صمتت وقد أحست بالخجل من نفسها ، وخفضت بصرها إلى الأرض وهى تقول بصوت خافت :

ـ ربما أكون قد أسأت الظن بك من قبل .
نظر إليها قائلا :
ـ وهل أصبحت تثقين بى الآن ؟
نظرت إليه بتضرع قائلة :
ـ نعم .
ابتسم فى سخرية قائلا :
ـ أشكرك على كل حال .
وقدم لها مظروفًا مغلقًا قائلا :
ـ أرجو أن تسلمى هذا المظروف إلى الدكتور (فوزى) بعد رحيلى .
قالت له باضطراب :
ـ لماذا ؟ (محمود) إلى أين أنت ذاهب ؟ وما الذى تنوى أن تفعله ؟
لكنه فتح الباب وهو يحمل حقيبته قائلا لها :
ـ وداعًا يا (منى) .. أرجو لك حظًا سعيدًا .
ولم يمنحها الفرصة لكى تقول كلمة أخرى .. فقد بادر بالانصراف .
تملكتها حالة من الاضطراب والحزن .. ووجدت فى نفسها الجرأة لفتح المظروف وقراءة ما تحويه

الرسالة التى تركها (محمود) .. حيث جاء بها :
ـ أستاذى .. وأبى الروحى الدكتور (فوزى) .
أشكرك على كل ما لقيته منك من رعاية واهتمام ، طوال عملى هنا ، وأعتذر لمغادرتى المزرعة على هذا النحو .. ولكنى أعرف أننى لو كنت قد أطلعتك على رغبتى فى مغادرتها ، لبذلت كل ما فى وسعك ، لكى تحول بينى وبين ذلك ، فأردت أن أوفر عليك وعلى نفسى هذه المحاولات ، لأننى اتخذت قرارًا بالفعل أن أترك العمل هنا ، وأنا مصر على تنفيذه .
كما أعتذر عن قبولى لعرضك الكريم ، بمشاركتى لك فى المزرعة .
لقد كنت ثاقب النظر ، عندما استطعت أن تكتشف حقيقة مشاعرى تجاه (منى) .
وكنت على صواب فيما قلته عن حبى لها .. ومن أجل هذا الحب أغادر هذا المكان .. فالحب الذى أكنه لها عذبنى كثيرًا .. عذبنى فى الماضى ، ويعذبنى فى الحاضر .
لقد حاولت أن أبعدها عن هذا المكان فى البداية ، عندما أتت إليه ، متعللاً بحجج مختلفة ، لكن السبب

الحقيقى ، وراء محاولتى إبعادها عن المزرعة ، هو أنها ما زالت تمثل بالنسبة لى نقطة الضعف الوحيدة فى حياتى .

فبقدر ما أحببتها بقدر ما آلمتنى .

ربما أكون مشاركًا فى المسئولية بالنسبة لما آل إليه حبنا .. بسبب طيشى ورعونتى .. لكنها لم تمنحنى الفرصة ، لكى أثبت لها أننى قد تغيرت ، وأننى أحاول أن أكون شخصًا آخر من أجلها .

فطردتنى من جنة حبها ، ولم تكتف بذلك .. بل جاءت لتكوينى بنيران قربها منى .

إننى لا أستطيع الاستمرار فى العمل فى هذا المكان ، الذى يجمعنى بها ، كما أننى لن أرضى أن تتركه بسببى .

لذا فإن الحل الوحيد هو أن أرحل أنا .. لقد حاولت وقاومت ، وظننت أننى أستطيع أن أكون قويًا ، بالقدر الذى يجعلنى أتغلب على حبى لها ، وعلى ذكرياتنا القديمة معًا ، لكنى فشلت وتألمت كثيرًا من أجل هذا الفشل ، الذى حاولت إخفاءه ، ولم يعد هناك مفر من الرحيل .

أشكرك على كل ما قدمته لى .. وأرجو ألا تغضب منى ، وأن تتفهم حقيقة موقفى .

ابنك البار / (محمود)

اندفعت (منى) خلفه وهى تركض بكل قواها ، ولمحته وهو يغادر بوابة المزرعة ، فاستمرت فى الركض ، وهى تناديه .

توقف حينما سمع نداءها .. والتفت إليها وهى تلهث ، لترتمى بين ذراعيه قائلة :

ـ (محمود) .. أرجوك .. لا ترحل .

نظر إليها بدهشة قائلا :

ـ لماذا تلهثين هكذا ؟

ـ كنت أحاول اللحاق بك .. لقد قرأت رسالتك ، التى أردت منى تسليمها للدكتور (فوزى) .

نظر إليها بغضب قائلا :

ـ قرأت رسالتى !! وكيف جرؤت على أن تفعلى ذلك ؟

ـ لأننى خشيت أن تكون مقدمًا على الرحيل بالفعل ، كما ورد فى هذه الرسالة .

(محمود) .. لقد أتيت إليك خصيصًا ، لكى

أخبرك بأننى .. أننى .. قررت أن أتوقف عن عناد قلبى .. وأعترف لك بـأننى مازلت أحبك ، ولـم أحب أحدًا سواك .

خفق قلبه بشدة وهو ينظر إليها قائلا :

ـ حقًا يا (منى) ؟

ـ أقسـم لك إن هذه هى الحقيقــة .. أرجـوك أن تصدقنى .

ـ لكنك لا تثقين بى .

فليمد كل منا جسور الثقة نحو الآخر .. إننى لست مستعدة للتضحية بحبى مرة أخرى .. وسأبذل كـل الجهد للحفاظ عليه .

ـ ولكن ...

أمسكت بيده وهى تستدير عائدة نحو المزرعـة قائلة :

ـ لكننا سنعود معًا مرة أخرى .. ونبدأ من جديد .

تردَد قليلاً .. ثم ما لبث أن سار معها فى اتجـاه المزرعة .. وهو يهمس لها قائلا :

ـ (منى) .. إننـى أحبـك .. أنت الفتـاة الوحيدة التى أحببتها .

ـ وأنا أيضًا أحبك .. ولـن أتخلى عن هذا الحب أبدًا .

ـ وسارا معًا ، وقد تشابكت أيديهما .. عائدين إلى المكان الذى جمع بينهما من جديد ، وقد حلقت أحـلام السعادة فوقهما .

أحلام الحب .. والسنوات الجميلة القادمة .

★ ★ ★

[تمت بحمد اللّه]

زهور
سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

المؤلف



أ . شريف شوق

السلسلة الوحيدة التى لايجد الأب أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

70

كفانا عنادًا

سيطر العناد على مشاعر كل منهما تجاه الآخر ، فكاد أن يقضى على حبهما . كانت علاقتهما مزيجًا من الحب والكراهية فى آن واحد .. ترى أيهما سينتصر على الآخر فى النهاية ؟

٣٢١١٧٩

الثمن فى مصر ١٥٠ ص
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم